
بنات اليوم
وفيق العلايلي



بنات اليوم - 3

مكتبة المعارف
بيروت

وفيق العلايلي

بنات اليوم

مكتبة المعارف
بيروت

للمؤلف

●

١ – من علم العذراء ١ – ٢
٢ – هذا الليل الطويل ١–٢
٣ – تعال نحرق الغيوم ١–٢
٤ – غرام في الجامعة
٥ – في قلبها نار
٦ – حافية على الطريق
٧ – من يطفىء النار
٨ – شبابي الذي لن يعود
٩ – كاديلاك
١٠– عاشق الأختين
١١– الملعونة
١٢– احذروا الزوجات
١٣– بنات اليوم
١٤– شباب اليوم
١٥– نساء اليوم

ايها القارىء الكريم

أمامك بعض الريبورتاجات . واكثرها واقعي .. وانا لا اطلق عليها اسم القصة ، لئلا يحرد بعض الاصدقاء والزملاء ، ويحاسبوني على كل هفوة وعلى كل كلمة .

ولم اتعمد الصناعة في الاسلوب مطلقاً ، لان الريبورتاج لا يطلب غير الاسلوب العادي البسيط .. ولا انسى ان اقول لك انه كتابي الاول ولهذا فانا اعتز به مهما كان حكمك عليه .

المؤلف



بَنَات اليَوم

(مـا الطهر الا عشبة خضراء تختفي
تحتهـا مستنقعات الفسق والرذيلة)
بوشكين

•

ان ابطال هذه القصة ، بل قل هذه الحادثة احياء يرزقون . ومن الطبيعي ان اجري بعض التغيير في المكان والزمان لاسباب يدركها القارىء .

منذ بضعة شهور كنت في القاهرة ، هذه العروس الساهرة حتى مطلع الفجر ،والمدينة التي تحتار بين مادية الغرب وروحانية الشرق ، بين النسيم الفاتر على شاطىء النيل حيث النخيل الذهبي وبين صوت الدولار الرنان وصوت الحديد في المعامل والمصانع .

وكانت البلاد العربية تغلي ، فهنا اجتماعات ومقررات وقرارات وما اكثرها ، وهنا ثورات ومُظاهرات ولا عجب في ذلك ، فالشعب ملّ حياة الذل والاستعمار ، وملّ الغـدر

الغربي ، والخبث الغربي، الذي يعطي باليمين كي يضرب بالشمال، الذي يضحكك اليوم كي يبكيك غداً .

وفي هـذا اليوم البارد القارس ، كنت في مكتب الاستاذ احسان عبد القدوس صاحب مجلة (روز اليوسف) والصحفي الذي ادخل الى الصحافة الجرأة والاخلاص والاسلوب الجديد .

ودخل علينا الكاتب الكبير حبيب جاماتي ، واخذ يقص علينا بعض ذكريات شبابه ، غير البعيد عـلى حـد قوله هو ، وكيف عاش في مكة المكرمة وكيف اجبرته الايام ان يتاجر بالرقيق الابيض ، او قل الاسود ، لانه اشترى عبدة سوداءبمبلغ ضئيل ثم تركها لوجه الله .

وكان الاستاذ سليم اللوزي يبتسم بخبث وهـو يسمع هـذه الاخبار الغريبة ، ويعلق عليها بنكاته السريعة .

وخرجت من هنالك ورحت ابحث عن تاكسي ، فرأيت الشارع مقفراً او يكاد .

فاخذت اسير الهوينا عندما شعرت بيد على كتفي ،فالتفت دهشاً ، فرأيت احسان . احسان م . صديقي البيروتي الحميم ، طالب الطب في الجامعة الاميركية في بيروت .. ونظرت اليـه وانا لا اصدق عيني ، اهذا هو احسان الذي عرفته ، اهذا هو صديقي وجاري في بحمدون .. الشاب الانيق الفاتن الناعم .

اهذا هو وقد غارت عيناه وتهدل جسمه وتهدلت ثيابه .

— ولكن ماذا تفعل هنا يا احسان ؟ انا اعلم انه ليس هنالك عطلة مدرسية ، اخبرني .

— اسكت يا اخي .. ان احسان الذي تعرفه قد تغير .. لقد مات .. وقد قتلته فتاة .. هل تذكرها .. نعم .. انت تعرفها .. انها خطيبتي العذراء الناعمة !

— ولكن هذا مستحيل .. انا اعرفها واعرف الاشياء الكثيرة عن طهرها وعفتها . لقد خدعتك المظاهر يا احسان .

— تعال معي .

وبعد برهة كنا نجلس في جزيرة الشاي في حديقة الحيوانات امام بحيرة زرقاء تنعكس عليها النفوس البشرية فتزداد غموضاً وتجهماً .

واخذ يقص عليّ قصته وانا هنا انقلها للقراء كما هي .. واحسان هو بطلها وضحيتها .

« لقد مات والدي وتركني مع اخي سامي طفلاً صغيراً ، وترك لنا عمارتين تكفي لمصروفنا المتوسط .

وكانت والدتي تحبنا حباً جماً .. تسهر علينا وترعانا بعطفها وحنانها وقلبها الذي ينبض بكل ما في الحياة من معاني الانسانية السامية .

ومضت الايام ودارت ، ودار معها اخي سامي .

وانت تعرفه .. لقد رأيته في بحمدون ورأيت لونه الاسمر

الجذاب وبريق عينيه الساحرتين الفاتنتين .. لقد انحرف عن الطريق القويم واصبح مقره الصالات واندية القمار والخمارات .

وكنت ارى والدتي في برد الشتاء وزمهرير الليالي القارسة وهي تنظر الى اول الشارع ترقب مجيء الولد الضال !

وأخذت تصب عطفها عليّ ، وكنت انا طوع يديها وطوع قلبها احاول ان اسري عنها واجعلها تؤمن بالحياة ، وارادت مني ان اكون طبيباً فلم اخالف امرها مطلقاً ورحت امضي الليالي ساهراً ادرس وابحث ، وهدفي رضاء والدتي وكسب حنانها ، الى ان كان هذا العام الذي مضى .

انت تذكر منزلنا في بحمدون ، انه هنالك ، وانا أراه من خلال ضباب الذكريات على التلة المورقة البعيدة ، يطل علينا منزلكم البعيد ، ومنزل سميرة القريب .

وكثيراً ما كنت اقف على الشرفة انظر الى الوادي الاخضر فأرى في لجه شعاع النفس البشرية تضيء الكون الانساني وتأخذ بيده الى شاطىء العالم المجهول .

ورأيتها وتعرفت بها .

لقد سحرتني عيناها الفاترتان الناعستان وابتسامتها البريئة وجمالها الملائكي وامتشاق جسمها وتقاطيعه .

لقد رأيت فيها الفتاة التي راودت احلامي منذ كنت طفلا صغيراً أعبث بالرمال الصفراء .

ولاحظت والدتي اعجابي ،فزارتهم ،وتعرفت بهم ،واعجبت بالعائلة ، والوالدة والفتاة .

واصبحت سميرة خطيبتي غير الرسمية .. وكانت تطلب مني باسمة ان اواظب على الدرس كي أصبح أشهر طبيب في بيروت، طبيب تفخر به بين صاحباتها عندما نتزوج .

وكنت اخرج برفقتها الى احراج الصنوبر القريبة نسابق النسيم فيسبقنا غياب الشمس ، وغناء الطائر الشريد على اغصان شهدت مسير الزمن ومصرع الايام .

وكانت تضع يدها على كتفي وتأخذ يدي بين اصابعها الحالمة وتكلمني الساعات الطوال عن المستقبل الباسم وعن البيت الذي سوف نبنيه على هضبات الغيوم وارتفاع الاحلام الذهبية .

وفي احدى الليالي الفاترة ، طبعت اول قبلة على خـدهـا ، فنفرت مني حيـاء وخجلا . ولا عجب ، فالحيـاء سياج الحب العذري .

وكثيراً ما كنت انهض من فراشي وأقف على الشرفة اشكر النجوم والغيوم والقمر على هذه السعادة التي ادخلها الله الى قلبي وقلب والدتي .. لانها كانت اشد مني فرحاً وتعلقاً بسميرة .

وفي ذات يوم .. دخلت عليّ والدتي باكراً وايقظتني وهي تبكي .. فسألتهـا عن السبب وانا احاول ان اخفي تـأثري ، فأفهمتني ان اخي سامي قد سرق من خزانتها مبلغ الالفي ليرة

وكانت قد قبضتها من اجار العمارة في بيروت .

ودخلت الى غرفة سامي وكان يغط في نومه وقد انتشرت في الغرفة رائحة الخمر والسكائر .. وكنت اشعر ان هذا الجو ملبد بالاثم والخطيئة .. ونظرت اليه ، وكان فاتناً فعلاً :

ان سامي ، برغم انه يكبرني ، يحترمني ويحبني اشد الحب ، وكثيراً ما كان يفتخر بي امام الاصدقاء والأقارب ، وكثيراً ما كان كلامي الهادىء يدخل الخجل الى نفسه .

ورحت ابحث في جيوبه فوجدت بقايا المبلغ فأخذته ووضعته في جيب معطفي .

ورأيت صورة تقع من جيبه فانحنيت والتقطتها ونظرت اليها في النور الباهت . وكانت تمثل سامي بلباس البحر على البلاج ويده حول خصر فتاة تبدو عارية لاول وهلة لصغر المايوه الذي ترتديه .

وابتسمت .. لقد كانت فاتنة فعلاً ، وجسمها الفتي يصرخ بالحياة والمتعة .. واعدت الصورة الى مكانها وخرجت .

ثم .. ياالهي ، ماذا حدث .. كلا .. انني اعرف صاحبة هذه الصورة ،وعدت كالمجنون ، واخذت الصورة واقتربت من النافذة ونظرت .. نعم ،نعم ،انها هي سميرة ، مع اخي سامي في لباس البحر ، وكدت اقع من هول الصدمة واصبت بالذهول التام .. وخرجت وانا احاول ان اسيطر على اعصابي .

جلست على الشرفة الساعات الطوال وحيداً افكر .

وجاء سامي اليّ وقد عرف قصة المال المسروق وكان يعتذر « ويطلب » العفو وهو يعد ان هذه المرة هي الاخيرة وانه سوف يسير على الطريق القويم .

ورحت اكلمه وانا شارد واطلب منه ان يشفق على هذه الوالدة التي اصبحت على مقربة من الهاوية ، ثم رحنا نتحدث وانا اخفي تأثري وأحاول ان اصل الى الموضوع بطريق الصدفة .

ونظر الى بيت سميرة وابتسم .. ثم راح يشرح لي فساد التربية في هذه الايام .

ـ والله يا اخي احسان .. لقد قرفت من هذه الدنيا .. انت شاب صغير لاتعرف العالم .. اما انا .. تصور ان الفتيات الصغيرات لا يعرفن معنى العفة .. انني اذكر الآن جملة لاتزال عالقة في رأسي من ايام الدراسة . « ما الطهر الا عشبة خضراء تختفي تحتها مستنقعات الفسق والرذيلة » .

نعم .. هذا هو الطهر .

ـ ولكن ما الذي يحملك تتكلم هكذا يا سامي .

واخذ يبتسم .. وفاتني ان اشير الى ان سامي لم يكن يعلم اي شيء عن علاقتي بسميرة وعلاقة العائلة بنا .

لقد كان يخرج ولا يعود الا في آخر الليالي وعند مطلع الفجر . وقال : هل ترى هذا البيت هنالك . تصور يا احسان انه

منذ شهر تقريباً وبينما انا عائـد في احدى الليالي سمعت صوتـاً يناديني من الشرفة فنظرت ورأيت فتاة جميلة تشير اليّ بأن اقترب ، فاقتربت .

وكانت ترتدي غلالة رقيقة شفافة لا تكاد تستر اجزاء جسمها الجميل ، وكنت انا في حالة سكر ، فسألتها بخشونة ماذا تريد؟.

فقالت انها تريد بعض السكاير الاميركية ، فاعطيتها علبتي ، ثم جذبتها اليّ وقبلتها ، وكانت تشدني اليها وانا كالمذهول .

وفجأة سمعت سعال والدها من الداخل فتركتها واسرعت بالمسير .

وفي اليوم الثاني ، كانت تنتظرني وطلبت مني ان ادخل الى غرفتها لأن والدها ذهب الى الشام وسوف يبقى هنالك مـدة اسبوعين .. ودخلت ومكثت حتى الفجر وانا اقبلهـا واعبث باجزاء جسمها الفاتن .

وكانت تخلع ثيابها امامي وتسألني لماذا اذهب الى الراقصات وهل هن اجمل منها .

وكانت تدخل الجنون الى رأسي من فسقها الفطري والمكتسب ومرت الايام ، وكثيراً ما كانت تطلب مني الوسكي نحتسيه سوياً .. وعندما كانت تنزل الى بيروت معتذرة بزيارة إحـدى صديقاتها ، كنت اذهب الى البلاج .. وهناك ، على الرمال ، كانت تأتي من ضروب الغنج والمجون ما تحمر له الوجوه . غير

عابئة بنظرات الناس .

وكنت أنا في دهشة كلية .. كيف تقدم فتاة من عائلة محافظة محترمة على هذه الأعمال .. بل وكيف ترتدي ألبسة البحر الخليعة .. وكانت تذهب برفقتي لشرائها وتفصيلها .. حتى ان الخياط وهو صديقي وأنت تعرفه ، كان يعجب من أفكارها المجونية وكيف كانت تقف أمامه شبه عارية تساعده في انتقاء ازياء المايوهات .

وفجأة ، قام أخي ثم عاد وبيده بعض الصور وأخذ يعرضها عليّ . وكانت كلها لسميرة .

وقمت من مكاني وأنا في حالة غريبة وأمضيت النهار وأنا لا أشعر كيف .

وأردت أن أصارح والدتي في الأمر .. ولكن .. لا .

وفي المساء كنت وحيداً على الشرفة ، عندما دخلت سميرة ، وكانت تبتسم ابتسامتها الملائكية .

ونظرت اليها .. يا إلهي .. اين تخفي هذا الفسق وأنى ذلك من مظهرها العفيف .. الا يمكن ان تكون هذه الفتاة تشبهها الى درجة هائلة .. ورحت أسخر من نفسي وأنا أغالطها .

وفجأة وقفت وقلت لها :

— هل تذهبين برفقتي غداً الى البلاج .

— انا لا أحسن السباحة .. ثم ان التقاليد تمنعني ، وأنت تعلم ذلك .

ونظرت اليها باستغراب .

وتبدلت نظرتي اليها.. كنت أرى فيها الفتاة الخليعة الفاسقه الفتاة التي رسمتها في مخيلتي من خلال حديث أخي سامي .

واقتربت منها وأنا أتمتم : سميرة .. سميرة ..

وأردت أن أضمها الى صدري . وجذبتها بقوة .. ولكنها دفعتني ووقفت بعيداً تنظر إليّ وهي تقول .

– انك غريب في تصرفك اليوم .

ونظرت إليّ طويلاً .. وكأنها عرفت كل شيء .

– نعم يا سميرة .. لقد حدثني سامي عنك وعن علاقتك به . انه يكذب .. بربك .. قولي انه يكذب ، وانك الفتاة الطاهرة التي .. عرفتها .

فقالت وهي تبتسم : سامي .. انني لا اعرفه .. ولم اشاهده حتى الآن .

– وهذه الصور .

وقذفتها في وجهها .

وهجمت عليها كالوحش المفترس..وفرت من أمامي ووقفت عند الباب ثم استدارت على نفسها وهي تقول :

– نعم ، أنا أكرهك .. احتقرك .. أنا أحب سامي ، لأنه رجل ،انه قوي يعرف معنى الحياة .. أما أنت فقد كنت أسخر

منك .. نعم ، كدت اتزوجك ، ولكن كي أبقى بقرب سامي فقط .. اليك عني ايها الشاعر الأبله .

وفي اليوم التالي ، علمت انها هربت برفقة أخي بعـــد ان سرقت مبلغاً كبيراً من المال من درج والدتها كما فعل سامي ايضاً .. وقد قيل لي انها في مصر .. هنا وانا أبحث عنهما ولا أعيش الا لــكي انتقم ،

لقد ماتت والدتي وتركت أنا دروسي وأصبحت شريداً أعيش لانتقم .

نعم .. لقد اصبحت سكيراً خاملا..ولن ارتاح قبل وصولي الى هدفي .

ثم وقف مودعاً وانصرف وهو منحني الظهر .

وبعد ايام ، كنت في بور سعيد ، المدينة البحرية الجميلة على شاطىء المتوسط..عندما ذهبت في الليل الى كاباريه «المور كو » برفقة صديقة أجنبية .. وهناك رأيتها .

كم تغيرت .. وكم تغير .

كانت تراقصه وخدها على خده وقد بدت كالغانيات في جمالها الصاخب ، أما سامي ، فقد ذكرني بشاب ارجنتيني جميل كان يعيش على ظهر النساء في باريس .

قررت ان أرسل برقية في اليوم التالي الى احسان في القاهرة. ولكنني عدلت .. لماذا لست أدري .

على كل حال .. انني لا أريد أن أكون السبب في جريمـــة مزدوجة ! .



عندما تتفتح الازهار

– بربك يا وضحى ، قولي لي انك لن تتزوجي غير حبيبك سيف !

– لقد قلتها مراراً يا سيف.. اتريدني ان أردد نفسي دائماً..

– أريد ان أسمع هـــذه الكلمات الحـلوة من فمك الحنون دائماً وأبداً .

– أحبك يا سيف .. ولن أحب غيرك .. سيف .. حبيبي هل ترى هذه الجبال الخضراء العالية وهذه الوديان العميقة وهذه المياه الجارية .. انني أشعر في قرارة نفسي ان حبي لك أكبر وأعمق وأعلى من كل شيء يا سيف ، كن على ثقة ان وضحى لن تتزوج غير سيفها البراق .

وضحى ، يا زينة الزينات ، سوف اشتري لك الدنيـــا بأسرها ، سوف أجعلك ملكة على عرش فؤادي . والآن أنا ذاهب يا وضحى قبل غياب الشمس ..

فابتسمت وضحى ، وأخذت تنظر الى سيف وهو يسير بقامته الرياضية المشوقة . انها أحبت فيه المشية الجميلة عندمـا

رأته يرقص الدبكة في عرس وردة ابنة الشيخ محجم ..
ودخلت وضحى الى خيمتها، ونظرت الى مرآتها الصغيرة.. فرأت وجهاً جميلاً فاتناً وفماً شهياً ، فضحكت لصورتها ، وأخذت تسرح شعرها الأسود الفاحم وهي تغني .

ان وضحى زينة زينات البادية . ان جمالها غدا مضرب الأمثال في جميع القبائل وقد تقدم الكثيرون لخطبتها ولكنها كانت ترفض ، الى أن رأت سيفاً فأحبته وأحبها . ورضي أهلها بسيف لأنه كان ابن شيخ كبير ومثال الأخلاق والكرم .

ولكن البادية كانت تعيب وضحى بعض الشيء لانها كانت مغناجاً تحب الرقص والغناء وتبتسم في وجوه جميع الرجال..

كانت وضحى اذا رقصت الدبكة تأخذ عقول جميع الرجال وتأسر قلوبهم .

ان قامتها المديدة وصدرها الناهد وساقها العاجي حديث البادية .

* * *

وطلع القمر وأخذ يقترب رويداً رويداً من خيمة وضحى . وكانت وضحى مستلقية على فراشها تنظر الى السماء الصافية والقمر الاصفر وتفكر .

وكانت شبه عارية في ثياب النوم الشفافة ، والهواء يداعب شعرها الاسود الطويل الذي كان ينسدل على صدرها العاجي وكأنه يغار عليه من اعين الطفيليين .

وبينما هي تفكر ، سمعت غناء بعيداً . فأخذت تتأوه ، انها

تريد الزواج ولا تريده ..

انها وعدت سيفاً بان الزواج سيتم عندما يذهب الخريف ويتبعه الشتاء ويأتي الربيع .. الربيع الفاتن الجميل ..

غداً عندما تتفتح أزهار الربيع وتملأ الدنيا شذى وعبيراً سيتم قرانها على سيف ...

وبينما هي كذلك تفكر ، سمعت صفرة خافتة فذعرت ثم قالت : لعنة الله عليه ،انه باسم يأتي اليّ في نصف الليل ويذعرني، يجب ان انهي المسألة معه . وتلفحت بوشاحها وخرجت اليه . هنالك قرب العين .

وقال باسم عندما رآها :

ـ اهلاً ، اهلاً بوضحى . ما هذا الجفاء يا وضحى ، هكذا أراك قرب البلحة فلا تلقين علي السلام .

ـ اسكت يا لعين ،والله اذا لاحقتني بعد اليوم بمغازلتك السمجة لأخبرت سيفاً .

ـ وهل أخافه او أخشاه .. ان زندي أقوى من زنده ورمحي أشد فتكاً من رمحه ، وأنا أجمل منه وانت تعلمين ذلك حق العلم يا وضحى ولكنك تخفين الحقيقة عن نفسك ..

ونظرت اليه ،حقاً لقد كان أجمل من سيف،انه فاتن فعلاً.. ولكن أخلاقه غير مستقيمة ، وهو يلاحق الفتيات وينزل دائماً الى المدن يأتي الأعمال الشائنة .

ولكن متى كانت الفتيات في جميع بلادهن وعصورهن وأطوارهن يعشقن الفتى العاقل صاحب الأخلاق الحميدة !!

وهكذا كانت وضحى تشعر بميل غريب لنحو باسم .

واقترب باسم .. وقال :

ـ أريد أن أرى اذا كانت العضة على كتفك لا تزال ظاهرة.

ـ اذهب .. باسم .. باسم ..

وأرادت أن تدفعه عنها . ولكنها لم تتمكن ..

وأخذ يقبل فمها الشهي وهي تدفعه حيناً كي تشده اليها أحياناً ..

وفي ليلة ليلاء ..

بحث سيف عن وضحى فلم يجدها .. كذلك بحث عنها أهلها. وبحثت عنها البادية .. ووقف والدها الشيخ المسكين على باب الخيمة وهو يصب اللعنات على العاهرة التي ألحقت بهم عاراً ما بعده عار ..

وماتت الأم من الألم ..

مر عام ، ثم عامان ، ثم أربعة وخمسة ، وكانت هنالك ، في دمشق راقصة تدعى باسمة ، جميلة طويلة في عينيها حور ، وفي مشيتها غنج ودلال . صارت راقصة شهيرة تكسب الذهب ويركع عند رجليها الجميلتين أكبر الأغنياء والأثرياء ، وفي أحد الأيام ، عند مدخل الشام قرب نهر بردى ، كانت هي ، باسمة . زينة زينات العرب ، تقود السيارة وقد أعماها السكر وبقربها ضابط من جنود الحلفاء ، كانت تقودها بسرعة جنونية ، بينما كان رفيقها يقبلها بوله وجنون .. وفجأة ، رأت ولداً صغيراً يقطع الطريق ، فلم تتمكن من الوقوف .

وأفاقت من غيبوبتها القصيرة ورأت الناس مجتمعين ، ورأت شاباً طويلاً يأخذ ولداً صغيراً بين يديه ويبكي. وأفاقت من سكرها وعرفت الشاب الطويل الذي عرفها ايضاً ، ونظر اليهـــا سيف نظرة فيها كل ما في الدنيا من احتقار . وتمكنت ان تفلت من القضاء وعدله بواسطة نفوذها الواسع وجمالها الفتاك .

وفي أحد الأيام ، عند مطلع الفجر ، خرج والدها من خيمته كي يؤدي صلاة الفجر فرأى جثة فتاة بدوية على الباب اخترق رأسها الرصاص .

انها هي ، وضحى ، التي كفرت عن ذنوبها بأن قتلت نفسها ، ونظر الوالد الى السماء وقال : الحمد لله .. أشكرك يا إلهي .

وفي اليوم التالي ، كانت وضحى ترقد عند سفح الجبل تحت شجرة خضراء مورقة تزينها أزهار الربيع .

کرنھال

« دخل رجل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وقال له : امرأتي تخونني يا أمير المؤمنين ..

فقال علي طلقها .. فقال الرجل لا أقدر .. فأنا أحبها .. فقال علي : أهجرها ..

قال : لا أستطيع لأني أحبها .. فقال علي : اقتلها اذاً .. قال لا أقدر .. اني أحبها فأخذ أمير المؤمنين سيفه وضرب رأسه وهو يقول : « جرد السيف لرأس طارت النخوة منه » .

(هذه قصة يعيش بطلاها في احدى عواصم البلاد العربية .. ولن أقول أين ! زوج يستحق الرثاء .. وزوجة .. وقد قصها عليّ شقيق الزوج ..)

*

قام عفيف من نومه باكراً .. وأخذ يرتدي ثيابه وهو يلعن تلك الظروف التي أجبرته على الدخول في سلك الوظيفة المملة ، القتالة للمواهب ، ولكل انطلاق فكري ! ..

ونظر عفيف الى المرآة .. فانعكست صورة شاب بين العقد الثالث والرابع طويل القامة ، جميل الملامح ، في عينيه قرف

من الحياة ومن الدنيا ومن كل شيء وكان يعتمد ربطة عنقه وهو يصفر لحناً غريباً لا يدري أين سمعه ..

ودخلت الخادمة وهي تحمل القهوة .. ونظر اليها عفيف باستغراب .. يا الهي .. انها أصبحت فتاة جميلة مغرية . هـذا الصدر الناهد .. وهذا الجسم الفتان .. وهذه النظرات الحالمة .. اذن يجب ان يتخلص منها سريعاً .. انه لا يحب ان يكون سبباً في مشكلة من المشاكل ..

هل أفاقت ليلى ؟

ـ كلا .. ان معلمتي ما تزال نائمة .

وتعجب بينه وبين نفسه كيف تتمكن ليلى من الاستغراق بالنوم .. بينما الشمس تنير وتحيط المدينة بهالة من نور أخاذ .

وألقى نظرة على صورة امرأته . وكانت تبتسم بإغراء .. وقد تهدل شعرها الجميل الفاحم على كتفيها .

وقال في نفسه : هذه صورة ليلى قبل الزواج .. لا شك انها تبتسم وهي تفكر بأحد الشبان .. هل أحبت في حياتها ؟

انه كان يعلم في قرارة نفسه ان ليلى لا تحبه، هذا الحب الذي رآه على الشاشات البيضاء .. والذي قـرأ عنه في الكتب والمجلات .. كذلك .. ان هـذا الشعور متبادل بينهما .. فهو لا يحبها .. ولم يشعر نحوها مطلقاً بهذا الحنان الدافىء والعطف المنبثق من أعماق النفس البشرية الذي يؤلف الحب .

لقد رآها ، فأعجب بها . ورأته ، فأعجبت به ..

عائلته كبيرة .. وعائلتها كبيرة .. مركزه في الوظيفة

لا بأس به ، ومركز عائلتها الاجتماعي فوق الوسط .

وهو تذوق كل شيء في الحياة .. وجاب عواصم الشرق والغرب .. وكان يسمع ان الزواج هو آخر المطاف .. أما هي فانها تعلمت من الايام من صاحباتها وكتبها ان غلطة الشاب الذي يتزوج لا توازيها الا غلطة الفتاة التي لا تتزوج عندما تحين الفرصة ..

وكان عفيف جميل الشكل وليلى تحب كل شيء كذلك . لانها جميلة ، مغرية ، فتانة .. تهتم بزينتها أكثر من كل شيء في الوجود ..

ومضى العام الاول .. والثاني، والثالث والرابع .. وعفيف يعيش عيشته المملة .. الهانئة .

انه لا يبخل على ليلى بشيء .. فعندها خادمة ، وطاهية .. وسيارة يسوقها هو .. وحسابها عند الخياطة مرتفع جداً ..

وراح يحتسي قهوته .. وقد أشعل لفافة اميركية ادخلت الى المكان عطراً مشوباً برائحة الرجولة الحية . وكان يفكر : ترى .. هل فكرت ليلى بالطلاق .. انهما لم ينجبا ولداً .. وليلى لا تحبه ، وهو لا يحبها .. ما هو الرابط الذي يجمع بينهما اذن ؟

وابتسم بمرارة .. انها العادة .. تجمع أحدهما بالآخر .

ودخلت ليلى عليه وهي تبتسم .. انها جميلة ، فاتنة .. ويخيل لمن يراها انها حورية من حواري الجنة او فتاة خرجت من صف رقصة استعراضية تقوم بها فاتنات هوليوود .

ـ هل تناولت فطور الصباح ؟

ـ لا أريد .. ليس عندي شهية للطعام !
ـ لماذا انت كئيب هكذا .. اضحك للدنيا تضحك لك ..
ـ اضحكي أنت .. انا لا أحب الضحك .
ـ انك تنرفزني ولكن الحق عليّ .. يجب عليّ الا أكلمك..

وأدارت ظهرها .. وهي تتصنع الحرد .. ونظر اليها عفيف شارداً.. ورأى جسمها اللدن الرخامي من خلال دخان لفافته.. انها تملك جسداً كالأفعى .. ترى .. هل تكتفي ليلى بزوجها . وراح يفكر..انه لا يقوم بواجبات الزوجية الطبيعية إلا نادراً.. لأنه ملّ كل شيء له علاقة بالجسد وليلى تتقبل هذه الواجبات ببرود كلي .. وعفيف ليس بالطفل الصغير .. انه يعلم حق العلم ان ليلى ليست راضية عن قيامه بهذه الواجبات .. ان هـــذا مستحيل .. ترى هل تخونه ليلى .. ومع من .. ؟

ـ كلا .. كلا .. انه يهذي .

ان ليلى ليست من صنف النساء الباحثات عن اللذة .. ان همها الاناقة وحديث الصالونات والسينمات .. فقط ..

انه لم يرها أبداً تبتسم لشاب او تخص أحداً باهتمامها.. وعلى كل حال .. لمَ هذه الأفكار السوداء .. ؟

ـ أنا خارج يا ليلى .. هل تريدين شيئاً ؟
ـ لا تنسَ العقد الذي وعدتني به ..

وخرج وهو يتمتم بكلمات مبهمة.. ورأى الخادمة تقف على النافذة وهي تنظر الى شيء بعيد غير موجود.. فقال في نفسه لا شك انها عاشقة. وقد يكون عشيقها بائع اللحم او الخباز او مؤجر الدراجات.

وذكر نفسه انه يجب أن يستبدلها بغيرها لأنها جميلة أكثر مما يجب..
واستقل سيارته الى مكتبه .. وأخـــذ جريدة الصباح .. مسألة فلسطين .. غدر الاميركان .. وحتى هؤلاء الروس الذين كان يأمل بهم خيراً .. لقد كان عنده الميل للمذهب الشيوعي أما الآن ..

يجب عليه ان يخفف القراءة.. انه يقرأ كثيراً ويحفظ نظريات عويصة عميقة. وهو لا يدري من أين أتاه حب القراءة انه الملل.. الملل من كل شيء الذي يدفعه في هذا الطريق ..

وفي الساعة العاشرة.. دخل عليه صديقه منير وأخذ يعاتبه:
– لماذا لا نراك .. ولماذا تتهرب منا .. أهكذا الزواج .. ان صديقنا فريد يسأل عنك دائماً .. ونحن نفتقدك في كل سهرة وكل حفلة .. وقد طلب مني أن أدعوك الى حفلة « الكرنفال » القادمة .. وهو يلح ويصر .. ويريد الجواب الآن .. ان عندي كل أدوات التنكر .. وسوف ترقص وتشرب .. وسوف ترى أجمل النساء .. وهناك .. آه .. ماذا أقول لك .. انني أعرف عدم ميلك للنساء .. ولكن عندما ترى هذه.. انها قطعة من نار قذف بها ابليس بعد ان اقتلعها من الجحيم .. انها قطعة من لحم ودم وقذفت بها الطبيعة الحمراء كي تكون إلهة الحب بين بني البشر..
يجب ان تتعرف بها يا عفيف .. يجب .. لقد تعرفنا بها منذ ثلاثة شهور ، في حفلة كرنفال .. وكنت مع فريد ونحن نراها مرة او مرتين في الأسبوع .. ولكن دائماً في الظلام.. لقد تعرفنا بها عندما كانت متنكرة . وهي لا تزال .. اننا ، حتى اليوم ،

لا نعرف وجهها الحقيقي .. وسوف تأتي الى هذه الحفلة ..

وعندما تتعرف بها يا عفيف .. تصور .. انها متزوجة وهي تعيش هذه الحياة منذ الشهور الأولى لزواجها لأن زوجها بارد.. وبارد جداً .. وهو غير قادر على إشباع شهواتها الكثيرة .. انها مستعدة أن تخلع ثيابها في كل ساعة وكل دقيقة .. ولكنها لن تخلع قناعها أبداً ..

وبعد اصرار .. رضخ عفيف للأمر الواقع .. وعد صديقه بأنه سوف يأتي .. وبأنه سوف يمر عليه بعد الظهر ..

وأخذت الأيام تمر .. بطيئة .. مملة كعادتها..وأفاق عفيف من النوم.وكان هذا اليوم موعد الحفلة،الكرنفال عند صديقه فريد..

وعجب عفيف كيف انه يفكر كثيراً بهذه الحفلة .. وبهذه المرأة التي حدثه عنها منير .. وفي الحقيقة انه يودّ أن يتعرف بامرأة كهذه لها تلك الشخصية الجبارة والطبع الشاذ .

ودخلت ليلى تتهادى بمشيتها وكانت الفتنة مجسمة ..

وقال لها عفيف : على فكرة يا ليـــلى .. انني مدعو الى حفلة عشاء .. وربما تأخرت كثيراً ..

فقالت ليلى : عال .. عال .. أنـــا أيضاً مدعوة الى بيت عمي .. فاليوم عيد سعاد .

— انهم يدعونك كثيراً .

— انهم يحبونني .. أكثر مما تحبني .

وضحكت بدلال .

وفي المساء .. ذهب عفيف الى منزل منير .. وهناك ارتدى

ثياب الحفلة المتنكرة . وكانت عبارةعن لباس بلدي مع قلنسوة شعبية .. ثم وضع القناع على وجهه ..ودخل الى قاعة الحفلة برفقة منير .. وكانت الموسيقى تصدح وتملأ الحدائق المجاورة بالألحان .

ورأى الجموع محتشدة .. وتاه بين الحاضرين..نساء جميلات.. ضحكات رنانة .. أزياء تذكر المرء بمختلف الأوضاع الاجتماعية وبمختلف العصور .. شباب كالشياطين لا يفكر إلا باللهو .. خمر يجري كالأنهر .

وداخ .. وأعجبت احداهن بزيه فأخذت تراقصه ورائحة الخمر تفوح من فمها . ثم تركته كي يتلقفها غيره وهكذا الى منتصف الليل . وشرب .. وثمل .

وفجأة رأى اثنين كالشياطين يهرولان . وكانا فريد ومنير .

تعال يا عفيف .. لقد جاءت .. راقصها واشرب معها .. ولا تدعها تفر .

سوف تمضي بقية الليل معها .

ورآها تدخل من الباب الكبير .. وكانت ترتدي ثوباً اسود يظهر بياض جسدها الناصع .. ثوباً شفافاً يزيد في بروز هذه المحاسن والمفاتن الصارخة .

واعترف عفيف في نفسه انه قلما شاهد مثل هذا الجسم وهذا القوام الفارع .

وكانت تضع على وجهها قناعاً كثيفاً يظهر منه عينان واسعتان وشربت .. ورقصت .. وثملت .

وراقصها عفيف .. وهو يضم هذا الجسد اللدن .. ووضع يده على ظهرها العاري .. فاحترق بناره ..

ورآها تراقص غيره وترتمي على صدور الشباب وتعانقهم .. فأكلت الغيرة قلبه وكأنها ملكه وكأنه يعرفها قبل ذلك ..

وغابت بين هذا الحشد الهائل .. فأخذ يبحث عنها .. في الغرف .. وفي المطبخ .. وفي الحديقة الى ان وجدها قرب ملعب التنس برفقة شاب يقبلها وتقبله بنهم وجنون . ومرّ بقربها فلم تأبه به .. ودخلت .وقبلت غيره .. وغيره .. وعفيف يلاحقها .. وشعرت به يتبعها .. وكانت تستلقي على سرير وبقربها طاولة عليها زجاجة خمر والى جانبها شاب ينظر الى ساقيها العاريتين .

وقالت له بغضب وبصوت حار :

– لماذا تتبعني أيها الفضولي . وماذا تريد ؟

واضطرب .. وقال :

– أنا صديق فريد ومنير .. و ..

– سوف أراهما آخر الليل .. اذهب ودعني الآن .. أريد ان اغتنم كل دقيقة في حياتي .. وأخذت الكأس .

وخرج عفيف يتعثر بخطاه .. ثم وقف يا إلهي .. أين سمع هذا الصوت .. وأين رأى هذه الحركات . وأين شاهد امرأة تنفث الدخان هكذا .. انه يعرف هذه المرأة .. أنه يعرفها .

وفجأة .. كاد يصرخ .. ماذا..هذا مستحيل .. انها ليلى . ليلى .. لا .. مستحيل .. امرأته تدهورت الى هذا الحد .. كلا . كلا ..

وركض كالمجنون .. ودخل الى الغرفة كالسهم المنطلق .. وأخذ الشاب وقذف به خارجاً .. ثم اقفل الباب بالمفتاح .. وانقض على امرأته كالوحش الضاري .. فأرادت أن تقاوم .. ولكن عبثاً .. انه وحش خطر .. ورمى بقناعها جانباً .. ثم رمى قناعه ايضاً .. وصرخت :

– عفيف زوجي !!

– ايتها الفاجرة .

وصمتت كالبلهاء .. ونظرت اليه كمن بها مس . ونظر اليها . وطار السكر من رأسها ومن رأسه واستعادت هدوءها ، ونظرت اليه بفتور ، ثم قالت :

– الآن عرفت كل شيء فافعل ما شئت .

– أأنت هي العاهرة التي حدثاني عنها .

– أنا هي وأكثر .. أمامك الطلاق لأنه لايوجد بيننا أي انسجام .

– الطلاق .. اريد ان انتقم لشرفي . سوف ترين .

– شرفك انه ملوث منذ أول زواجنا .. انني اعيش هذه الحياة قبل ان تعرفني .. ولن اتغير .. أنت تعيش في عالم روحاني خاص .. أما انا فانني اعيش على الارض ، كما يعيش كل انسان .

فهز رأسه .. وطلب منها ان تضع قناعها، وتخرج بسكون .

فأرادت ان ترفض ولكنها رأت الاصرار في عينيه .. وخرجت وتبعها .

وجلست الى قربه في سيارته .. وسارا في سكون الليل .. ولاحقتها الموسيقى بعض الشيء صاخبة ثم خافتة .. ثم بعيدة تحتضر ..

ووصلا الى البيت ودخلت غرفتها دون ان تكلمه ..

وجلس في غرفته وحيداً يفكر .. ويدخن اللفافة بسرعة هائلة .. ثم دخل الى غرفتها .. فرآها شبه عارية تحضر حقائبها وثيابها .

ونظر اليها .. انه لم ير جمالاً كهذا ابداً .. ان فيها فتنة الابالسة وجاذبية الشياطين .. لم يكن يرى هذا الجمال .. كان مغمض العينين .. ولكن الآن ..

– ماذا تفعلين ؟

– انا ذاهبة الى بيت اهلي .

– كلا .. كلا ..

وجرى الدم حاراً في عروقه .. وهجم عليها وألقاها على السرير .. وصفقت اوراق الليل .

– هل تطلقني او تنتقم لشرفك .

فأسكتها بقبلة نارية وهي تلتف عليه كالأفعى .. ومرت

الايام . .وسدت فراغ حياته .. وعاش في اشتهاء دائم وعاشت هي كما تريد .

وهكذا .. جرّد السيف لرأس طارت النخوة منه .



سلمى قصة من [illegible]

ايها الزمن .. قف قليلا ودعني اتمتع ببعض لحظات السعادة العابرة !
الفونس دي لا مارتين

●

كان ذلك منذ عامين تقريباً .

وكنت في باريس ، العاصمة اللاهية التي خلعت على نفسها نسيجاً من المجون والخلاعة فأصبحت كالغادة الحسناء المتبرجة وهي تنتظر الشاب كي تصطاده بحبائل حاكتها من جمال عينيها وسحر جفونها وظلام شعرها .

وكنت ادور في هذه الشوارع الكبيرة على غير هدى اتسلى بالنظر الى المارين والمارات .. وما اكثر النساء في باريس .. وما ارخص الجمال هناك .

وكنت قد تعرفت ببعض الفتيات الجميلات .. وقد وجدتهن جميعاً على طراز واحد في التفكير والكلام وطريقة المعيشة .

وكان اكثرهن ، ان لم اقل كلهن ، يبدأن الحديث بأسلوب لايتغير :

– انت من المكسيك ؟

- كلا !

– من اميركا الجنوبية على كل حال .

كلا يا سيدتي .

فتقول بتأفف :

– من اين اذن ؟

– من لبنان .

– لبنان .. عجيباً .. لم اسمع بهذا الاسم قبل اليوم .

وكنت اضحك بيني وبين نفسي من سذاجتهن ، وكيف يعتقدن ان كل من له شارب اسود وشعر اسود هو مكسيكي او ارجنتيني او برازيلي .

واذكر الآن ، وانا ابتسم ،فتاة اسمها (لينا) كالزهرة الفواحة والوردة العاطرة نشأت على ضفاف البحر المتوسط الازرق فجاءت آية في الابداع والجمال الشرقي الاسمر الغامض . اذكرها وكيف ارادت ان تبدو اكثر من رفيقاتها ذكاء وسرعة خاطر !.

– من اين ؟

– من لبنان .

– حيث جرت معارك روميل .

– كلا يا سيدتي .. هذه ليبيا .. اما انا فمن لبنان .

– تريد ان تقول البانيا ؟.

– كلا .. لبنان بالقرب من سوريا .

– سوريا .. سوريا من الصحراء اذاً .

وراحت تدعو صاحباتها لمشاهدة ابن الصحراء المتمدن .

ورأيت انهن يعشقن كل شيء عن الصحراء وحيـــاة البدو والاعراب فأخذت اختصر الطريق واتكلم مباشرة عن الصحراء الباسمة والرمال الضاحكة والقمر الحزين وعن فـاطمة وزهـرة وهند وليلى !

وكان لي صديق من القنصلية العراقية يمدني بعلب التمـــر والجوز .. فكنت اضعها في جيبي ولا آكلها الا امام احداهن ..

– وماذا تأكل ؟

– البلح ..

– وما هو البلح ؟

– فاكهة الصحراء ومنتوج بلادي الوحيد .

وكثيراً ما كانت الفتاة تصغي اليّ وهي تنظر الى عالم بعيد مجهول .. وكنت ارى في افق عينيها تأثير كلامي على مخيلتها .. ارى سراب الصحراء وذهب الرمال الصفراء والرياح تعبث بها .

– كم اود ان اذهب الى هناك .. واعيش مثلك في خيمة شعر ، كي اتخلص من هذه المدنية الزائفة ومن متاعبها الكثيرة .

وكانت الايام تمر هكذا ، على وتيرة واحدة ، في استجوابات لاتنتهي ، وفي حـديثي المستمر عن الصحراء وعن والدي شيـخ العرب وأمير القبائل وزوجاته الاربعة عشر ، وعن الخيل والليل والبيداء ، والصيد والغزو .

وفي ذات يوم ، قال لي أحد الاصدقاء وهو يعمل في الامن العام الفرنسي ويدعى روجيه مورللي :

ـ هل تريد ان ترى سلمى ؟
ـ ومن هي سلمى ؟
ـ سلمى هي الزهرة اليانعة التي خلقها الله كي يبرهن أنه أمهر من « ميكلنجو » ومن « ليونارد دفنشي » .
ـ لقد اصبحت شاعراًياروجيه..واين تعمل هذه الاعجوبة.
ـ في مكان ما ، وأنا اعرفه بحكم مهنتي لأنه ممنوع من الحكومة .. ويجب عليّ ملاحقته وقفله .. ولكن عندما أرى سلمى ..

وفي المساء .. ذهبنا .

ووصلنا الى شارع ارستقراطي فخم ، فيه الدورة الكبيرة والحدائق الغناء .. وتقدم روجيه من باب كبير ودق الجرس وبعد محاورة قصيرة مع البواب دخلنا سوية .

وكان بيتاً واسعاً كبيراً فرش على الطريقة الشرقية بأفخم السجاد والطنافس وبالحرير والدمقس .

وكان الحاضرون من علية القوم مركزاً ووجاهة ، وقد جلسوا على الارائك جلسات شرقية مع السيدات الجميلات اللواتي بصحبتهم .

وكان الضوء أحمر خافتاً باهتاً ، والموسيقى الشرقية الناعمة تأتي من أحد الأمكنة الخفية وكأنها همس الرياح الحزينة فوق رمال الصحراء .

وكانت رائحة الحشيش والافيون تمتزج برائحة البخور والعنبر ورائحة العطورات الغالية من السيدات فيتألف من ذلك جو من

أجواء المعابد الوثنية القديمة عند سفح الاهرام أو امـــام ساحة الاكربول .

وابتدأت النمر .. وكلها جديدة فيها وقاحـــة وفيها جمـال فيها شهوة وفيها مثالية ، فيها الحيوانية وفيها الروح .. وكانت الراقصات في غاية الجمال .. وتكلم المذيع :

– والآن .. تشاهدون الراقصة « هند » وهي اميرة عربية هربت من الحريم ولم يمض على وصولها الى باريس اكثر من ايام معدودات .

ورقصت هند ، وكانت فتاة سمراء فيها جمال الفهد وخفته ورشاقته .

واخيراً .. قال المذيع كلمة واحدة :

– سلمى ..

وأخذ الحاضرون يرددون هذه الكلمة ويتهامسون .. وأخذ كل منهم ينظر الى الباب وهو ينفث الافيون من صدره وكأنـــه الاتون المحترق .

وكنت أرى في نظرتهم الشوق واللهفة تختلط ببريق الحرمان المميت .

ومر وقت .. وموسيقى الشرق الصامتة تعزف .

ثم خرجت سلمى .

ووصلت الى وسط الدار وهي تتهادى في سيرها وكأنهـــا « ديانا » إلهة الصيد .

وكانت ترتدي ثوباً طويلاً أسود .

ورحت أتأملها عن كثب .. فرأيت ان روجيـه على حق كلي في جنونه بها . انها هبة الطبيعة لابناء البشر المحرومين .
وأخذت الموسيقى تعلو وتعلو .
وابتدأت سلمى ترقص .. ابتدأت تخلع ثيابها قطعة قطعـة على اصوات الناي والمزمار وهي ترقص رقصة شرقية كل مافيها رائع .
وأخذ هذا الجسد المتمرد يظهر بفتنته وجماله الأخـاذ ..
وكنت أراها من خلال دخان الافيون المتكاثـف تتلوى كالافعى في وادي الابالسة .
وقلت لروجيه : من أين جاءت هذه الفتاة .
— بربك دعني في نشوتي .. وإذا كانت نفسك تحدثك بأشياء وأشياء فإني انصحك ان تترك هذه الاشياء منذ الآن .. انها أمنع من عقاب الجو وأبعد من نجوم السماء .. وكم جرب غيرك وكم دفع المال الطائل ، وكل ما تفعله معهم انها تنظر اليهم باحتقـار ثم تذهب .. انها تتناول هنا اجراً كبيراً وتكتفي به .
— انك تزيدني رغبة بالتعرف اليها .
— سوف اقدمك اليها كزميل لي .
— كلا ايها المعتوه .. كل النساء عندكم يعشقن الشرق المسحور الغامض ، فقل لها اذاً انني ابن أمير عربي كبير في الصحراء .
— سوف افعل ايها اللعين .. ولكن دع كل أمل .
فرحت اتأملها وانا كالمشدوه الذاهل .

* * *

وكانت في غرفتها الفاخرة في هذا النادي تصصف شعرهـا

الاسود المصقول .

انني لم اتمكن من رؤية جمالها البديع وهي بعيدة .. أما الآن .. ونظرت الي في المرآة وهي تصغي لكلمات روجيه ثم قالت ، واللهفة في صوتها :

– من أين ؟

– من بلدة صغيرة في وسط الصحراء الذهبية حيث النخيل وخيم الشعر .

– وما اسم هذه البلدة ؟

– بيروت .

فنظرت إلي ذاهلة ثم قالت :

– ولكن بيروت ليست بصحراء صفراء . انها مرفأ كبير .

قالتها بتهكم زائد .

فتلعثمت وأخذ لوني ينقلب على انغام لون قوس الفزح .. واخيراً قلت وأنا اتنفس بصعوبة :

– وهل تعرفين بيروت .

– كلا ولكني كنت في المدرسة وتعلمت الجغرافيا ، وأرجوك في المستقبل أن لا تظن أن كل بنات باريس معتوهات تمشي عليهن أكاذيبك !

ووقفت تريد الانصراف .. ثم التفتت إلي فجأة وأخذت تنظر إلي بامعان واصرار ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة وهي تهز رأسها .. ثم خرجت .

وعندما اصبحنا في الشارع ، كنت لا اشعر إلا بالفراغ الكبير

القاتل .. الفراغ المميت .

ان لهذه المرأة قوة كبيرة وشخصية قوية تحطم كل من يقترب منها ..

ورحت امطر روجيه بالاسئلة . وكان دائماً يجيبني بأنه لايعلم عنها اكثر مني .

ومر يوم وثانٍ وثالث .

ثم مر اسبوع دون ان اراها ثانية ..وفي الحقيقة ان تفكيري بها لم ينقطع دقيقة .. لانني كنت اشعر شعوراً مبهماً بانني اعرفها منذ زمن بعيد . ورؤيتي لها هذه المرة الوحيدة قد ملأت قلبي بالغموض والفراغ .

في ذات يوم ، قال لي روجيه :

— انت محظوظ ايها الملعون ، لقد سألت عنك سلمى !

— بربك .. ماذا قالت .. واين هي ؟

— سوف نتناول الغداء عندها اليوم ، فاصبر قليلا .

وفي الظهر ، وصلنا الى الفيلا الفاخرة حيث تسكن ويسكن اصحاب الملايين .

ودخلنا .. وكنت اعجب من هذا الاثاث الفاخر وهذه الرياش الثمينة .

وتخيلت هذا القصر معبداً قديماً كرسته آلهة الاغريق لجمال سلمى .

واطلت علينا في ثوب ازرق يزيدها فتنة على فتنة .

وتناولنا الغداء وهي تمطرني باسئلتها الساخرة عن الصحراء

والنخيل وفاطمة وهند وعن الرمال الذهبية وما اشبه .
ومكثنا ساعتين بعد الغداء ثم انصرفنا .
ورأيتها في اليوم الثالث والرابع
وكنا نخرج سوية في الأيام الساخنة نتمشى على ضفاف نهر السين ونحن نتحدث عن الغرب والشرق وباريس وعن كل شيء.
وكنت اعجب فعلاً بثقافتها الواسعة العالية وبحديثها المهذب وكأنها امضت عمرها في احسن المدارس .
وفي ذات يوم .. كنت اجلس على شرفة قصرها انظر الى القمر الساخر الهازيء والى النجوم في السماء ..
وخرجت سلمى ، واسندت ظهرها الى الحائط وهي تغني بصوت خافت اغنية جميلة اصبحت على كل فم في باريس في تلك الايام .
(اين انت يا حبيبي .. انني وحيدة وانتظر رجوعك الي ونفسي حزينة) .
– هل انت عاشقة يا سلمى ؟
– ليتني عاشقة .. ثم زفرت وقالت : نعم .. ليتني .
ثم راحت تسألني عن بيروت اهلها وعدد سكانها وطريقة معيشتها .. تسألني بدقة عن اشياء معينة الشيء الذي جعلني اصدق في كلامي ولا اقول لها الا الحقيقة المجردة .
وكنت في دهشة من اسئلتها المتكررة عن بيروت ، كأنها تبحث عن ذكريات في صدى السنين .
وبعد برهة نظرت اليّ طويلاً وقالت :

انظر اليّ جيداً .. الا تعرفني .

فنظرت اليها بامعان ، وكنت اشعر انني رأيت هاتين العينين الغامضتين .. نعم ، ولكن اين ؟

ووقفت وهي تقول : انتظر قليلاً .. وعادت بعد لحظة ، واعطتني صورة رحت اتأملها بدقة .. ثم رفعت رأسي وأنا انظر اليها في ذهول ودهشة .

ـ كلا . هذا مستحيل .

ـ نعم .. نعم هي انا ، ولكني تغيرت قليلاً ، بل كثيراً .. ولقد عرفتك منذ اليوم الأول ، لأنك لم تتغير مطلقاً .. حتى طريقة كلامك ، انت تتكلم تماماً كما كنت يوم كنا .. اتذكر مدرسة اللاييك ، وصف الفلسفة ؟

ودار رأسي .. يا الهي !! أهذا ممكن .. هذه الفتاة .. انها جانين مورو .. زميلتي في الكلية العلمانية في بيروت .. انني اذكر جيداً الآن ، وكيف لا .. لقد درسنا الفلسفة معا وكنا نلتقي دائماً في صفوف الجغرافيا والتاريخ ودروس الاجتماع .

ولكن كم تغيرت .. نعم .. كم ..

ـ ولكن هذا الاسم .. سلمى .

ـ انه اسم جميل وقد سمعته في بيروت فخلعته على حياتي هذه .. بيروت ، لقد ولدت فيها وترعرعت تحت سمائها وامضيت على شاطئها اجمل سنوات حياتي .. وكلما اتحدث عنها اشعر بقلبي يخفق بشدة .

ـ تذكرت الآن .. نعم كان ذلك في عام ١٩٤٢ ولم تقبلي

ان تتقدمي الى فحوص الفلسفة ، لانك كنت تكرهين حكومة ديغول . نعم .. واذكر ايضاً سفرك الى فرنسا .. يا الهي ، كأنه حلم مضى .

– نعم ، نعم . آه لماذا لا يقف الزمن في سنوات السعادة . الا تباً له الا يعود الى الوراء .. وراحت تنشد بصوت ملائكي قصيدة لامارتين الخالدة في « الفير » :

« قف ايها الزمن ودعني اتمتع بأجمل ساعات حياتي » .

– ولكن دروسك وعلمك .. كيف تركت كل هذا ؟

– وهل تظن ان العلم المثالي ينفع في عصرنا . عصر الفرنك والدولار .. وهل تريدني ان اعمل على آلة كاتبة او سكرتيرة رجل عجوز . لأربح بعض فرنكات لا تكفي ثمن خبز .. انني لا اجد احسن من ان اعرض جمالي على بعض المخمورين الاغنياء عرضاً يزيد عذاب الحرمان في قلوبهم . وانت ماذا فعلت ،وهل اصبحت طبيباً كما كنت تريد ان تكون .

– كلا .. لقد قرفت في الشهر الأول من الجسم البشري النتن المعفن ، فدرست الحقوق وانا اظن ان مهنة المحاماة تعلو في مثاليتها . ولكني اكتشفت غلطتي بعد فوات الوقت .. الا تباً للذين يبحثون عن الرحمة في وادي المجرمين السفاكين .

واصبحنا لا نفترق .. اراها كل يوم صباحاً في قصرها واتركها في المساء كي تذهب الى عملها .

ومرت الايام .. واصبحت أرى فيها كل معاني الحياة الخالدة . واصبحت الصداقة بيننا قوية الى درجة تعلو عن شعور

الصداقه وتسمو فوقه .

وكانت دائماً تحدثني عن حياتها واسرارها واهدافها .

وكثيراً ما كنا نستعيد سوية ذكرياتنا عن صفوف المدرسة وكيف كنا نتفنن في تدبير المقالب للاساتذة .. وكنا نضحك مرحين والقلب في حزن لمرور هذه الايام .

واقترب موعد سفري .

وجاء يوم الوداع ، وانا اؤكد لها بانني سوف اعود ، نعم ، سوف اعود قريباً ، وقريباً جداً .. لانني اصبحت لا اطيق الحياة بدونها .. الحياة الفارغة المملة القاتلة .

ورافقتني الى المطار ونحن نحلم بالمستقبل ونتكلم عما ينتظرنا من السعادة ..وهي تحملني سلامها الى مدرسة اللاييك واشجارها وصديقاتها وصفوفها . وامام الطائرة ضممتها الى صدري وسمعتها تهمس في اذني :

ـ سوف ترى ان حبك لي في محله .. نعم ، وعندما تعود ، سوف ترى كيف حافظت على نفسي من الابالسة الجياع .

فنظرت اليها نظرات الخشوع والعبادة ، لانني كنت اعلم حق العلم من روجيه انها لاتزال عذراء ، نعم عذراء طاهرة نقية كالزنبقة البيضاء بين الشوك والحصى .

ـ انا اعلم ذلك يا جانين ..حفظك الله لي .. وكل ما ارجوه ان تنتظريني .

ـ لا تقل ذلك ايها المعتوه .

وطارت الطائرة ، وانظارها لا تتحول عنها ، حتى اصبحت

اراها كالنقطة الصغيرة في المحيط الواسع .

ومرت الايام ولم ارجع .

واليوم ، عندما تعصف بي رياح ذكريات الماضي القريب ، اطلب من الله ان يحفظها ويعينها لانها تائهة بحثت عن الصدق فلم تجد الا الضلال ، وبحثت عن السعادة فلم تجـد الا الحرمان ، وبحثت عن تقدير بني البشر ومثالية الانسان فـلم تلتقط يداها الا الهوان والفراغ .

نعم هذا هو المجتمع الذي نعيش فيه .. فتباً له !.. اما انت ياجانين ، فلا اغالي اذا قلت انك ذكرى خـالدة في فؤادي .. ذكرى لن يمحوها مرور الايام وكر الاعوام .

فتـــاة الإسكندريّة



يسألني الكثيرون .. لماذا لم تتزوج ؟ هلا سألتم انفسكم لماذا تتزوجون !

سنكيلر لويس

●

القاهرة .. عروس الشرق العربي وابتسامة الحسناء الشرقية الغامضة التي تحتار بين مادية الغرب وروحانية الشرق .. بين رنين النحاس على ضفاف الهدسن والتايمس وبين انسياب نسيم الفجر الضاحك على نخيل النيل المقدس .

كنت خارجاً من (دار الهلال) الجديدة في شارع (المبتديان) برفقة صديقي الكاتب المصري الموهوب ابراهيم الورداني.. وكان يكتب في مجلة الاثنين يومذاك .

وقلت لابراهيم : اين نذهب الليلة انني في غاية الضجر ..

– نذهب الى ..

– اسمع يا ابراهيم .. كل شيء الا منزل انور وجدي وليلى مراد وفيلا يوسف وهبي ونقابة الصحفيين ومجلة روز اليوسف ودار الاهرام وبديعة وببا والفنانين والفنانات .. لقد سئمت

الروتين اليومي .

ـ انك تحيرني يا فتى بيروت .. ياابن الجبل الابيض الاخضر .

واخذ يتغزل بالجبال والصخور والصنوبر ويصف حنينه الى هذه البقعة الخضراء من الشرق ـ كما يدعوها ـ والتي .. يجهلها كل الجهل .

اسمع يا وفيق .. أريد ان اعرفك بامرأة تبحث عن الحب .. انها تبحث عن رجل كي تحبه .

ـ وهل تحسبني رودولف فالنتينو .

فضحك .. ثم قال :

ـ اعلم انك غير مصري وهذا طلبها .. وهي لا تريد شاباً جميلاً .. بل تريده مخيفاً متوحشاً .

ـ متشكر قوي لحسن ظنك يا ابراهيم .. هلم بنا .

واخذنا التاكسي .. وسرنا في شارع الهرم الخالد .. بين النخيل وفيلات الاغنياء المنتشرة ، وقال ابراهيم :

ـ انها فتاة جميلة جداً .. من أب مصري وأم اسبانية .. وهي غنية ..ولكنها فنانة بالفطرة والميل ..انها غريبة الاطوار جداً ، وسوف تراها .

ووصلنا الى ملهى الاريزونا وهو يطل على الصحراء الواسعة ، وكأنه الواحة بين الرمال الموحشة .

ـ اسمحي لي ان اقدم لك فلان بن فلان .

ونظرت اليّ نظرة عدم مبالاة .. ثم أخذت تحدث ابراهيم باللغة الافرنسية وبلهجة باريسية .

وجلسنا ولم تلتفت إليّ مطلقاً .. وكنت انا اصطنع الانهماك بكتابة احرف لا معنى لها على ورقة امامي ..

وفجأة .. أطل علينا شاب اشقر جميل انيق الى درجة كبيرة .. فاستقبلته دوللي – وهو اسم مصغر لدولوريس – بكثير من الحفاوة .

وأخذت اشتم ابراهيم مستعيناً بكل ما تعلمته من أولاد حي البسطة حيث اسكن منذ صغري ومن سعيد فريحة وميشال أبو شهلا واسكندر الرياشي .

وقال ابراهيم :

– ولكن ده مش ذنبي يا أخي .. يظهر انك وحش اكثر من اللازم .

وانتظرنا .. وجاءت .. وعدت انا الى الارقام .. وتعرفنا بالشاب الاشقر .. فاذا هو ابن ذوات سوري مليونير ابن مليونير تنتظره على باب الاريزونا سيارة « كاديلاك » سبور فاخرة .

فنظرت الى ابراهيم وبودي لو ادق عنقه .

ومكثنا هنا مدة طويلة .. تتحدث هي الى المصري وتراقص السوري وتتجاهل الداعي .

ولم أتفوه بأكثر من بضع كلمات .. ثم ذهبنا دون ان اودع احداً من الحاضرين .

وتقبل ابراهيم الحمام البارد بكل رحابة صدر .. وقلت له :

– أيها الغبي .. ما حظي أمام شاب اشقر جميل غني انيق وهبته الطبيعة كل شيء ؟

ومر يومان .. وفي الصباح رأيت ابراهيم ، فقال : (لقـد رأيتها .. نعم .. هي دوللي .. وسألتني عنك دون اكتراث وقصصت عليها القصة ، ورددت على مسامعها كلامك بالضبط .. وقد عرفت انك تقيم بالكونتيننتال) فلم اهتم بكلامه وتابعت طريقي .

وذات صباح .. وعند الساعة الحادية عشرة رأيتها تجلس على سطح الكونتيننتال .. فنظرت اليها وتابعت طريقي .. ولكن الجرسون لحق بي .

... واحدة ست عاوزه سعادتك ..

وعادت سعادتي .. ذهبت اليها وكانت تبتسم ..

– أظن انني اعرفـك .. أوه . لقد قدمك إلي الأديب ابراهيم .

– نعم ..

– كنت مارة .. وحدثتني نفسي أن اجلس بعض الشيء على هذا السطح الجميل في هذه الشمس .

– نعم ..

– لماذا لا تجلس ..

فجلست وكنت استرق النظر اليها ، واعجبت بجمالها الشرقي الغريب ، وبقوامها الفتان ، وخاصة .. بعينيها .

وكيف اتمكن من وصف هاتين العينين الواسعتين الساحرتين الفاترتين .

لقد كنت اظن انني اعرف ماهي العيون السود . إلى ان رأيت عينيها . هذا هو الحور الذي تكلم عنه شعراء بادية العرب

عبر الايام وعبر الاجيال والاساطير .

– لماذا لم تعد الى الاريزونا .

فنظرت اليها طويلاً .. ثم قلت بقلة ادب وبصوت عال :

– ما هو حظي أمام الشباب والمال والجمال وسيارة كاديلاك ؟

فنظرت اليّ طويلاً ثم انفجرت ضاحكة ، وأخذت تضحك، وتضحك بصوت مرتفع .. وانتبه الحاضرون ، وأخيراً كفت عن الضحك وراحت تمسح الدموع من عينيها .

– اذاً هكذا .. ما هو حظك أمام الكاديلاك !.

وعادت الى الضحك .

– الى اين انت ذاهب كي أوصلك ؟

وصعدت الى سيارتها التي تقودهابنفسها .. وسارت في طريق الجيزة على شاطىء النيل اللامع . وكانت تلقي عليّ بعض الاسئلة الخاصة ، فأجيبها باقتضاب .

ثم أخذت تحدثني عن بعض نواحي حياتها ، وكيف ولماذا اصبحت راقصة في ملهى كبير شهير لا تؤمه إلا أرقى الطبقات.

وفي اليوم الثاني رأيتها .. وذهبنا معاً إلى ستوديو مصر ومكثنا ساعتين في الحديقة نتكلم عن اشياء تافهة .

ورأيتها في اليوم الثالث والرابع .

وفي اليوم الخامس قالت :

– هل صحيح انني مدعوة اليوم لتناول الغداء على ضفاف النيل ؟

– نعم صحيح .

وتناولنا الغداء .. وفي الساعة السادسة كنا في سينما مترو نشاهد فيلم « اتركها للسماء » .

وفي اليوم التالي ، قالت لي :

– اسمع سوف نذهب في هذا المساء الى « الاوبرج » نشاهد حفلة كبيرة .

وفكرت قليلاً .. الاوبرج .. ومن اين لي المال وانا مسافر بعد اسبوع . وليس معي غير ثمن التذكرة وبعض الجنيهات .. كلا يا فتى يجب ان تكون مقتصداً .

– انني اشعر بتعب .. ومرض .. يجب ان أنام .

كلا . كلا . سوف نذهب .

– اسمعي يا دوللي .. انا غير قادر على هذه الحياة ، يجب ان اسافر الى بلادي .. وليس معي ثروة طائلة .. ولا اقدر ...

– أيها المجنون لماذا لم تصارحني .

وأخذت تنظر إليّ نظرة فيها العطف وفيها الحنان وفيها الرحمة والرقة والشفقة .

ثم أخذت يدي بين يديها .

– لماذا لا تقول .. انني رهن اشارتك

وسكتت ، وفي المساء .. ذهبنا الى الاوبرج .. وكانت حفلة عظيمة ، ورقصنا ومرحنا ، وقالت وهي ثملة :

– كيف هي بلادك ؟وهل صحيح انكم وحوش لاتتكلمون إلا بالمسدسات .. وتعيشون في كهوف الجبال .. حدثني عن بلادك .

وأخذت احدثها ، وكانت تصر على ان بلادي بـلاد الثوار ورجال الفاروست وشيكاغو .

ورحت اكلمها عني وعن الجبال الشامخة .. وكيف كنـا نحارب ونهجم على الدبابات ونحطم المدافع وندك الحصون !

— هل قتلت ما يقارب المائة ؟

— اكثر من هذا بقليل .

وكانت تصفق فرحة .

وخرجنا عند الفجر .. وطلبت مني ان اقود السيـارة .. واسندت رأسها الى كتفي .

— لماذا لا تقول لي بأنك تحبني ؟

— وهل تحبينني انت يا دوللي ؟

— كلا .. انني اعطف عليك .

— وكيف تطلبين مني ان اقول لك انني احبك ؟

وتنهدت ، وكان القمر الاصفر يداعب الرمال الصفراء ويعكس صورته الضاحكة على ذهبها البراق .

ومر يوم .. وثان .. وثالث .. واستلمت برقيـة من أخي الكبير حسن يطلب مني فيها ان اذهب تواً الى الاسكندرية كي أزور بعض الاقارب .

ورافقتني الى المحطة .. ووقفت في الصف كي اشتري التذكرة . والتفت اليها .. وكانت تنظر اليّ بعينيها الواسعتين تدمعان وتعـبران عن كل معاني الالم .. وفجأة خرجت من الصف .

— ما بك يا دوللي ؟

– اريد ان اذهب معك .. خذني .. خذني .

ووصلنا الى الاسكندرية .. وعلمت هنالك ان لعائلتها بيتاً جميلاً على الكورنيش فأقمنا فيه ثلاثة ايام .

وفي طريق العودة . شعرت بأنني أحبها ، أو هكذا خيل إلي .

وقالت لي في القاهرة :

– هل تتزوجني .. تعال .. سوف نذهب إلى اميركا الجنوبية .. ان معي خمسة آلاف جنيه ، وانت شاب متعلم يمكنك أن تشتغل هنالك .

وفكرت بالعائلة في بيروت ، وبالصدمة الكبيرة عندما تعلم ان ابنها تزوج من راقصة .

– دعي هذا الأمر اليوم .. وعلى كل حال يجب أن اعود الى بلادي الآن .

– لا تهتم بالدراهم ، فأنا مستعدة لأن اعطيك مصروف أشهر كاملة .. يجب أن تبقى هنا .

– كلا يا دوللي والعائلة وهل انساها ؟

وشعرت اني ابتدأت افكر بها اكثر مما يجب .. انني احبها .. أحب صوتها وأنوثتها وضعفها وعينيها وشعرها المسترسل .

أحبها عندما تشدني اليها وتضع رأسها على صدري وتبكي بسكون خاشع !

أحبها وقد تركت عملها واصحابها كي تكون برفقتي . أحب حديثها .. وثقافتها .. وذكاءها .

وبعد اسبوع .. عادت هي الى الاسكندرية كي ترى أمها المريضة .

فاغتنمت الفرصة .. وهيأت حقائبي . وعند دفع الحساب.. قال لي المدير إنه وصل ، واعطاني كتاباً منها تقول لي فيـه : (أتمنى لك سفراً سعيداً .. لقد قرأت نبأ سفرك في عينيك.عد سريعاً إليّ)

وعدت الى بيروت .. ومر شهر وشهران وعام .. ونسيت القاهرة إلى أن عدت إليها ولكنني لم أر أثراً لدوللي .. ورأيت النيل والنخيل والاهرام الخالدة وكلها تذكرني بهـا .. وشعرت بهذا العطف الداخلي المنبثق من أعماق فؤادي يغمرني بكليتي .

وابتدأت أحن اليها حنيناً صادقاً .. وذكرني بها نسيم الليل وابتسام القمر والرمال الضاحكة وشواطىء الاسكندرية . أين هي فتاتي التي شبت وترعرعت على هذه الرمال والشواطىء .

وجاءت الصدفة الجميلة .. وسافرت إلىباريس بعد أنمررت بنابولي وجنوا وروما وأثينا .

وهناك . فيشارع السلام .. رأيتها وكأنها مركيزة أو ابنة الملوك بجمالها واناقتها .

ولم تصدق عينيها .. وكان كلام وعتاب وعلمت منهـا انهـا تقيم في أفخم فندق في باريس .. فندق « ريتز » واليوم عيـد ميلادها .. وهي تنتظر هدية مني .

وفي المساءذهبت ..ورأيت قوماً غرباء بينهمبعضالافرنسيين والمصريين وقدمت لهـا هديتي وهي كتاب افرنسي عنوانـه :

« القلب الشريد » . فسرت به كثيراً وقالت :

– قلبي أو قلبك ؟

فقلت :

– كلاهما يا دوللي ..

واستبقتني حتى ذهب الجميع .. ومضى اسبوع .. وعادت الايام الخوالي .

واضطررت إلى السفر دون أن اودعها وعدت الى القاهرة ثم الى بيروت .

ومنذ وقت، وقبل الحوادث ، كنت في فلسطين أزور شقيقتي وصهري ، وكنت في امسيات احد الايام اتنزه على جبل الكرمل عندما رأيتها .. نعم .. هذه هي . وكانت تقف أمام واجهة أحد المحلات الكبيرة تنظر الى الاشياء المعروضة وكلها من ملابس الاطفال .

– كيف حال القلب الشريد ؟

والتفتت .. ونظرت إليّ باستغراب ودهشة :

– انت ، هذا مستحيل .

وسرنا معاً وهي لاتصدق ، وقالت :

– انها الاقدار .. هي التي تجمعنا .. لقد خلقتنا الطبيعة كي نكون معاً .. لقد مللت هذه الحياة .. أريد بيتاً واطفالاً .. تزوجني قبل ان تندم .. لأنني مخطوبة الآن .. وسوف اسافر معه الى الارجنتين .. انني اعلم انك تحبني ، انني لا احبه ، ولكنه غني وسوف ويوفر لي كل شيء ، الحياة التي اريدها ، انك تشعر بالفراغ بدوني وانا كذلك .

ومر يوم .. وثان .. وسافرت دوللي الى الارجنتين .

والآن .. كلما اشاهد الشواطىء الرملية والقمر الضـاحـك والرمال الباسمة اسألها جميعها ان تحمل اليها السعادة الدائمةوتدفع عنها الاذى والعدوان .

انها في حياتي .. « الذكرى الجميلة »



كاتب عدل قريتنا
شنق نفسه

« مقتبسة عن الافرنسية فازت بجائزة جونكور لعام ١٩٤٦ »

لقد ابتدأت هذه القصة في مطعم صغير، في مدينة ترن وكنت انا المتفرج الوحيد .

وكانت على وشك انتهائها وهي تدور حول الرجل والمرأة اللذين رأيتهما .

كانت المرأة تمثل الفن الاصطناعي احسن تمثيل ، فقد صبغت شفتيها بحمرة قانية ووضعت الزيت المعطر على شعرها الذهبي ومسحت جفنيها بلون ازرق قاتم ورسمت حواجبها رسماً يبعدها كل البعد عن شكلها الطبيعي .

وانما – ويجب ان اعترف انها كانت على غاية ما يكون من الاناقة والجمال .. فالرائحة التي تفوح منها والثياب التي ترتديها .. كل ذلك كان يشعرني بأنها ورقة من الجلاتين لاتلمسها الا الاصابع حتى تنهار .

اما الرجل ، فقد كان يرتدي قميصاً من الحرير وياقة منشاة فضفاضة يظهر منها عنقه وكأنه عنق سلحفاة .. وكان قصير

الشارب خفيفه ، خفيف الذقن اصفر اللون . اما عيناه ، فقد سبحتا في لون ازرق باهت ، وعلى كل حال ، فقد كان يبدو طبيباً وفي الخامسة والخمسين من عمره . وكانت يداه نظيفتين جداً ، وكنت ارى انه لايعرف ما يصنع بهما ولا اين يضعهما .

وكان لا يجرؤ على لمس يد صاحبته بل كان يكتفي بالنظر اليها بعبادة وخشوع . كان كل مظهره يؤدي الى نوع واحد من الملاحظات :

لقد كان مرتبكاً في ملابسه الانيقة التي انتقاها خصيصاً كي يفوز باعجاب الفتاة .

وعند دفع الحساب اخذ من محفظته صورة صغيرة وقال بحياء:

– هذه ابنتي واسمها ماري .

وبكل تكلف قالت المرأة : انها ناعمة .

– نعم .. ولكن .. وتابع وهو يضحك ، ان هذه الصورة اخذت لها منذ عشرين عاماً ، وهي الآن في السادسة والعشرين من عمرها .

قالت المرأة وكان يبدو عليها انها تتكلم فقط كي تقول شيئاً ما :

– آه ..نعم .

وكان من البديهي ان المرأة لا تكترث بالصورة وبصاحبتها حتى ولا بالرجل ، وقامت وهي تنظر الى نفسها في المرآة ، وانتظرت حتى اتاها الخادم بمعطفها وارتدته بنفرة ثم قالت وهي

لا تعبأ بالمرأة التي تستمع ، وبالخدم والزبائن :

– لماذا لم تقل لي قبل الآن انك والد فتاة في هذه السن .

وكان صوتها قاسياً ، بارداً .. حتى خيل اليّ ان فيه الشيء الكثير من الغيرة والحسد .. اما هو ، فقد كان مرتبكاً ، وعاد اليه خجله الاول واخذ يتمتم كلمات غير مفهومة .

ونظرت اليه بكل احتقار ثم قالت وكأنها تكلم نفسها :

– انكم جميعاً متشابهون ، ايها الرجال ، يجب ان تكذبوا حتى ولو لم يسألكم سائل عن شيء ..

وكانت تسير في اتجاه الباب الخارجي ، وتبعها .. وابتلعهما الباب بعد غلقه ودخلت نسمة من الهواء البارد .

ولم يخطر في بالي مطلقاً انني سوف اشاهد تتمة هذه القصة ..

وبعد مرور ثلاثة او اربعة اسابيع ،ذهبت الى بلدتنا لحضور جنازة قريب لي .

وكان هذا العم السعيد قد وضع وصيته عند كاتب العدل ، وكم كانت دهشتي عندما رأيت كاتب العدل هذا ، وعرفت فيه رجل المطعم .

واخذت اتردد كثيراً على القرية ، حتى انتهت مسألة الميراث ورحت اتحرى من مسألة « لاتكوا » مدفوعاً بحب المعرفة اولاً ، ثم للتسلية في تلك المنطقة النائية .

وقد حدث ما كنت أتوقعه لكاتب العدل ، فبعد مرور عام على معرفتي به وجدوه مشنوقاً في غرفة بيته .

ولم تكن هذه الميتة غريبة بالنسبة الى اخلاق الرجل ،ولكن

الغريب في الامر هو تطور الحوادث قبل موته .

لماذا غير هذا الرجل الاوتوماتيكي طريقة حياته .. لماذا لم يعد يكترث ابداً بالأشياء التي وقف لها حياته طيلة ثلاثين عاماً ، وهي منزله ، وامرأته ، وابنته .

كان منزله في شارع سكوتلندا ، وفي الغرفة الداخلية ، وهي غرفة مظلمة يدخل اليها من باب واحد . غرفة مزينة يتعارك فيها مصباح خفيف من الظلمات المحيطـة ، جعلها صاحبنا مكتبه . وكانت الاوراق وكل ما يتعلق بشؤون المكتب غارقة في هـذا الظلام الاخضر . وفي الغرف الباقية ، كانت امرأته وابنتـه تسرحان وتمرحان بخطوات لا تسمع .

كانت المرأة كالزجاج المثلج ، اما البنت فانها كانت في دمامة التماسيح .. لون اصفر مع شعر باهت وانف طويل .

ولم يكن هو حاقداً عليها لأنها في هذه الصورة .

فمنذ اعوام طويلة ، بل منذ الازل ، كان سكان هـذا البيت لا ينظر احدهم الى الآخر ، ولا يتبادلون ، الكلام وكان احدهم ، اذا اضطر للكلام ، تحدث عن الاشياء التي تهمه ، ولكن دون ان يصغي اليه الآخران .

كانت الكبيرة تتكلم عن اعمال البر والاحسان في القرية .. والبنت تتكلم عن العائلات الفقيرة التي يجب مساعدتهـا .. امـا هو ، فكان يمضي اوقاته في غرفة مكتبه ، حتى ايام الآحـاد والاعياد . وكانت غرفته هذه تطل على عالم النور من نافذة ضيقة ، مشبكة بالحديد السميك الاسود ، وعالم النور هذا هو عبارة عن

زقاق ضيق مظلم .

كان من الممكن ان يعيش طويلاً ، حتى يبلـغ الشيخوخة ، الشيخوخة الباردة ، الخالية من الحياة ، ومن معنى الحياة.. لولا تأخره ذات يوم عن موعد سفر القطار .

فلو لم يتأخر مسيو « لاتكوا » ذات يوم عن موعد القطار لما كتبت هذه القصة .

* * *

كان يذهب الى باريس ، مرة في العام ، لانهاء عمله ،فيصل الى العاصمة في الساعة العاشرة والنصف ثم يستقل اول سيارة تمر .. فيجلس في داخلها و كأنه جالس في مكتبه لا ينظر الى ما حوله ابداً ، بل ينظر الى جزء معين من اجزاء السيارة . كان يذهب الى كل مكان ، يعمل ما عليه وعند وقت الغداء ، يدخل الى اول مطعم يراه ،ثم يستقل سيارة ثانية ويطوف بها كي ينهي ماتبقى عليه من اعمال .

وفي الوقت المحدد ،يعود الى المحطة ويأخذورقته دون ان ينظر الى مخلوق او يستمع الى كلام الرجال المحيطين به .. وعندوصول القطار ، يصعد الى المركبة ، ويجلس ، و كأنه يجلس في مكتبه ويذهب الى قريته كي يغيب عاماً ثم يعود .

وفي ذات عام توقفت السيارة التي تقله الى المحطة في الطريق، فلم يتمكن من الوصول عند قيام القطار .

وهكذا جرفه التيار في مغامرة غريبة .. لايصدقها احد ..

حتى نفسه .

* * *

عندما رأى ان القطار اقلع اخذ يتساءل كيف يمضي الوقت الى موعد القطار الثاني ، وشعر بأنه يجب عليه ان يقص شعره ، فدخل الى اول حلاق ،وعرض عليه هذا تقليم اظافره وهندستها. فلم يجد الجرأة الكافية كي يرفض .

وكانت المانكور عبارة عن امرأة ، وهذه المرأة هي ليديا ، ومنذ ذلك الوقت ، لم يعد هذا الرجل كاتب العدل البسيط..بل انقلب مجنوناً مجنوناً يريد ان يهب كل ما يملكه .

اما هي ، فلم تكن بالمرأة الشريرة بكل معنى الكلمة..لانها لم تكن تشعر بأي شيء نحو هذا الرجل ، الا ببعض القرف .

ودامت القصة بضعة شهور ، وأخذ يتأخر عن مواعيد القطارات ، بل كان يعود الى باريس ، واصبح يزورها كل شهر ، بل كل اسبوع .

ومنذ ذلك الوقت ، لم يعد يجرب أو يحاول ان يدافع عن نفسه ، او يتستر ، ولم يعد يرى نظرات الاحتقار والشتائم التي كانت توجه اليه .

واخذت زبائنه تتركه ، ولم يكن يهتم مطلقاً بذلك،واعرض الناس عنه ، وبكت الزوجة ، واحتجت البنت ،ولكنه كان يذهب الى باريس كي يمضي شهراً ويعود يوماً .. كي يرجع الى باريس ثانية .

وكان العمال في المكتب يقولون :

سوف نراه مرة في العام .

واصبح عليلاً ، ضعيفاً ، اصفر اللون ، الا ان اناقته كانت تزداد ، من ربطة العنق الحريرية الى قفازه الجلدي الناعم .

وكان في بعض الايام حزيناً كئيباً ، ينظر ساعات وساعات الى الدواة على مكتبه ويبدو في بعضها الآخر مبتهجاً فرحاً كتلميذ المدرسة يوم العطلة .

اما في باريس ، فان ليديا وحدها بامكانها ان تقول كيف كانت تصرفاته لانه لم يكن يرى غيرها .

عندما يهبط من القطار ، يذهب تواً الى شارع « شابوت » حيث استأجر لها شقة فاخرة ، بعد ان اقنعها انه لايحب ان تعمل بعد الآن وانه على استعداد لاجابة جميع طلباتها ، ولم تقبل في بادىء الامر ، لانها كانت تشعر شعوراً صادقاً بان اخلاقها غير اخلاقه وعاداتها غير عاداته ثم انها كانت تخشى هذا الجنون الهائل في تقديم الهدايا

كان يشتري لها كل شيء ، كان يشتري كل ما يراه في طريقه ، وكثيراً ما كانت هداياه في غير محلها .. كثيراً ما شعرت بانها لا تحتاج الى هذه الاشياء التي يجلبها كل يوم .. كل ساعة .

ومن سخرية القدر ان كل هدية كانت تبعد ليديا عنه بدل ان تقربها اليه .. ومن هنا اخذ الرجل يخيفها . اما هو ، فانه كان لايرى شيئاً ، ولا يفكر في شيء ، كان يعطيها كل ما يكتشفه في السوق من هدايا ، كان يأتي ببذل كبير ويضع المجوهرات والملابس تحت قدمي عشيقته . ولكن هل كانت ليديا عشيقته

بالمعنى الصحيح .

كان كل من يرى حالتها هذه يعتقد من صميم قلبه انه امام امرأة متوحشة مفترسة ، اما انا ، فكنت اعلم حق العلم انها فتاة مسكينة اضاعها شذوذ رجل غريب الاطوار .. وقد اخفى مسيو « لاتكوا » امر زواجه عن ليديا وقتاً طويلاً

وفي ذات يوم ،سقط منه خاتم الزواج وتدحرج على الارض وهكذا علمت ليديا بوجود زوجته ..

ومر وقت ، وقال الرجل يوماً مخاطباً ليديا :

– انت تعلمين ، عندما يكون للرجل اولاد ..

وهكذا علمت بوجود ابنته ، ونحن نعلم كيف علمت عمرها واين ..

وانا اتساءل الآن لماذا اخفى عليها كل هذه المسائل .. أكان يخشى ان تتركه ..ام كان يخجل ان يقول لها انه من الارياف.. كاتب عدل في الارياف .

يا لها من وظيفة سخر منها الكتاب والقصصيون طويلاً .. كاتب عدل .. وعلى كل حال ، انها علمت الحقيقة ، ولكن بعد مضي وقت طويل .

وانقلب خوفها منه الى كره شديد ، اما هو ، فكان لايزال لطيفاً ناعماً هادئاً يغدق عليها الهدايا . وبعد ان التهم ثروته الخاصة ،اخذ يلتهم ثروة زوجته ،ثم ثروات الزبائن البسطاء الذين لم يسحبوا اموالهم من خزائنه ، ولا احب ان يفهم القارىء انني من هؤلاء الآخرين .

وفي ذات يوم شعر بانه غير قادر ان يعطيها شيئاً آخـــر .. شعر بانهم سوف يلقون القبض عليه ، فشنق نفسه .

وبعد مرور ثمانية ايام على موت مسيو «لاتكوا » حضرت فتاة دميمة من الارياف ، تشبه التماسيح ببروز عينيها وطول انفهـا ، الى شارع « شابوت » تسأل المارة عن منزل ليديا .

وصعدت الى الطابق الثالث ، ثم اقتربت من الباب فسمعت انغام موسيقى راقصة تتصاعد من الداخل .. ففتحت هذا الباب بهدوء ثم دفعته .. ورأت امرأة تمثل الجمال الاصطناعي بشعرها الذهبي وفمها الاحمر القاني .

كانت تدخن وهي تستمع الى الموسيقى بنظرات حالمة .

وكان ثوبها ينفرج عن ساقين طويلين جميلين في نعومة الحرير الشفاف .

ونظرت الداخلة الى المدفـأة ، حيث النـار تشتعل وترسل الوهج .. ولما شعرت ليديا بالباب ينفتح .. ألقت باللفافة جانباً وهي تنظر الى القادمة بذهول واندهاش .. وكانت هذه الاخيرة تحمل بيدها مسدساً .. عندما قالت :

– اذا تحركت اطلقت عليك النار .

ثم تابعت بصوت هادىء :

– سوف اقول لك لماذا سأقتلك .

وفي هذه اللحظة .. ارادت ليديا الوقوف .. عندما دوى طلق ناري ملأ الجو بالدخان .. واهتز جسم ليديا .. ووقف لحظة وهو مشدوه .. ثم سقط على المقعد .. ونظرت الفتاة الدميمة الى جيب معطفها المحروق .. الممزق وقالت : لقد نبهتك .

وكان جسم ليديا على طرف المقعد .. ثم مال الى الجانب ووقع على الارض.. وظهر من مرآة الحائط وهو يهوي.. ثم ظهر المقعد الخالي وحده .. ثم الهدوء التام .

وكانت النار في المدفأة تتراقص فيتراقص معها خيال الاشياء وخيال الجسم الملقى على الارض . وكانت لفافة التبغ تشتعل بنفسها .. بينما اصوات الموسيقى الراقصة ترافق الدخان المتصاعد.

ليتني تركتها تحترق



القاهرة .. عروس الشرق وفاتنته الاولى .

الغـادة الساحرة التي تتربـع على قلب الشرق العربي فتدغدغ مهجته بين لحظة واخرى ثم تلتفت الى الغرب ساخرة وكأنهـا تتحداه بسحر عيونها وجمالها ودلالها وخفة حركاتها !.

وكنت انا في فندق «ميناهاوس» الفخم الذي يطل على الصحراء ويرنو الى الاهرام باجلال واحترام .

الاهرام التي شهدت مصرع الابطال والغزاة الفاتحين ولاتزال تتحدى الزمان وتبتسم للاجيال القادمة .. بينما يتربـع بقربها ابو الهول الصامت . ابو الهول الذي شاهد من الهازل ما شاهد .. وهو لا يزال على سكوته الدائم .. يشاهد ويرسم هذه المشاهد في قلبه علّه يبسطها يوماً للتاريخ والذكرى .

اذا نفعت الذكرى .

وكنت اتسلى بالنظر الى المارين والمارات وانا اشرب كأساً من الويسكي .. بينما الموسيقى تأتي بعيدة من آخر الحديقة . ناعمة . خافتة . وكأنها همس الآلهة في حفلة اقامتها الاجيال الغابرة .

ودخل شاب ومعه امرأة حسناء ، المرأة كل ما فيها ينطق بالشباب الصارخ والجمال العصري الذي يزيده التصنع بروداً وكالاً .

وجلسا الى طاولة امامي وكان هو طويلاً جميلاً فيه رجولة وقوة لا تخفى .

ولفت ساقاً على اخرى وهي تتعمد رفع الفستان كي يرى الجالسون هذين العمودين من المرمر ، وهما تحفة رائعة ، تحفة تجعل الرجل يتتبعها الى آخر الدنيا .

وكانت تتكلم مع الرجل بلهجة قاسية مزعجة . وكان يرد عليها بلهجة المتبرم بحياته ، لهجة الرجل الذي يرى الدنيا سراباً خادعاً ، وهو ينظر الى الافق البعيد يبحث عن شيء مجهول .

وأخذ الناس يدخلون الى الفندق ، وأصبحت الشرفة خالية تقريباً ، الا مني ومن هذين الاثنين .

وسمعت الحديث واضحاً ، جلياً يتردد صداه في اطراف الحديقة ، ويزيده وضوحاً سكون الليل وجلال الصحراء .

— نعم .. ليتني لم اتزوجك ، انك بليد ، خامل ، تبحث عن مشاكستي وايلامي ، ليتني تزوجت كالا ، كال البيطار ، لقد عرض عليّ الزواج فرفضته لاجلك ، انني معتوهة .

— كفى صراخاً .. اذهبي والحقيه .

— نعم ، سوف افعل ، وسوف ادعه يتمتع بهذا الجسد ..

هذا القوام الذي تعبده ، والذي لن تلمسه بعد الآن .. سوف ادعك تموت .

وارتجف الكأس في يدي ، ورأتني انظر الى هذا المشهد من وراء ظهر زوجها ، فوقفت وأخذت تختال امامه وهي تنظر اليّ بطرف عينها .

ودخلت وهي تقول : سوف اتصل بكمال تلفونيـــاً . فانتظرني .

والتفت زوجها فرآني في ركن منعزل ، فتقدم مني وقال :

— لقد سمعت ما قالت زوجتي .

— نعم ، ولو انني لم اتعمد ذلك ، وأرجو المعذرة .

— نعم ، نعم ، انني معتوه ، انها امرأة ساقطة ولو انها من احسن العائلات وأكرمها ، ولكنها جميلة ، جميلة جداً ، ولهـا جسد .. آه ، نعم ، لقد سمعتها ، انني اعبد هذا الجسد الفاتن .

وجلس ثم طلب كأساً من الويسكي وأخذ يتكلم وكأنه لا يشعر بوجودي .

— آه .. ليتني تركتها تحترق ، ليتني تخلصت منها في تلك الليلة ، ولكن الاقدار هي التي تربطني اليها ، وتشدني الى انوثتها الصارخة .. أتعلم كيف تزوجتها .

لقد كنت في حفلة راقصة دعاني اليهـــا احد الاصدقاء .. عندما شاهدتها ، كانت ترقص وحيدة في وسط الدار وقـــد

امامها السكر .

كانت تقوم بحركات خلاعية يزيدها مجوناً الفستان الذي ترتديه وهو يكشف عن جميع اسرار جسدها الهائل .

ورقصت معها ، وسألت عنها . فعلمت انها من فتاة من عائلة غنية ومحترمة .

وبعد ايام كنت عبداً لها ، لأنني تذوقت هذا الجسد وأصبحت اسيره الذليل المطيع .

وبعد اسابيع تزوجتها لأنها اصبحت تجري في دمي وعروقي ، اصبحت تجري تحت غطاء جلدي .

وكنت في عملي لا افكر الا بها ، وطلبت مني ان نسافر الى اوروبا كي نمضي شهر العسل .

وهكذا كان .

انني اراها الآن على ظهر الباخرة ، وقد ارتدت الشورت وهي تتسلى في اثارة غرائز الرجال الحيوانية ، أراها تتعمد تعرية محاسنها في صالة الرقص وفي غرفة الطعام وعلى سطح الباخرة ، اراها وهي تراقص « الكابتن » الجميل وقد ارتدت فستاناً للسهرة ضيقاً وشفافاً يزيد في بروز محاسنها .

وكنت اثور وأصرخ ..

ولكن نظرة واحدة منها كانت تردني اليها عبداً مطيعاً .. كنت اشعر شعوراً صادقاً ان هذه المرأة هي من صنع الشيطان

والأبالسة

انني اثير دهشتك بقولي هذا ، نعم ، كنت احس ان رباط الزوجية المقدس غير قادر على ربط هذه المرأة الى مبادىء الشرف والاخلاق .

لقد دخلت ذات يوم الى الغرفة فجأة . فرأيتها عارية تماماً وقد نامت على السرير بينما « الكابتن » الجميل يقوم بتدليك جسمها .

وخرج « الكابتن » عندما رآني .

وتقدمت منها اريد ان اضربها ، اريد ان اقتلها .

ولكنها نظرت اليّ متحدية ، ثم قالت وهي تبتسم :

ـ ارجوك ان تتمم عمل الكابتن وتدلك لي جسمي .

وعدت ذلك العبد الذليل .

* * *

وفي مرفأ جنوى ، تعرفت بالتي انقذتني مدة من الزمن ، بالملاك الطاهر التي رفعتني الى سماء المثالية البريئة وجعلتني اشعر انني انسان من جديد .

كانت ناعمة ، شقراء .. في عينيها براءة وفي ابتسامتها مسحة من حزن خفي .

وكانت صداقة ، ثم كان حب بريء ، حب طاهر لا يعرف

مغنى الدنس .

وكنت امضي معها الساعات الطوال على سطح الباخرة ننظر الى السماء الزرقاء والى القمر الحزين وكيف يلمع على مياه المحيط البراقة .

عرفت منها انها يتيمة الابوين ، وانها مسافرة الى اميركا كي تلحق ببعض افراد عائلتها الذين شردتهم الحرب ، فزاد حبي لها وعطفي عليها .

ومضت الايام هنيئة ، ناعمة ، وابتدأت انسى تماماً امرأتي وجمالها الحيواني المثير ، وشعرت هي بهذا النسيان وقد عرفتني فيما قبل الاحق هذا الجسد في كل ساعات الليل والنهار وسألت وعرفت الحقيقة .

وساءها ان اتخلص من قوتها وجبروتها .

وأرادت ان تمتحن هذه القوة ، وكنت قد صممت على الطلاق فور عودتي الى بلادي .

وفي ذات يوم دخلت الى الغرفة بعد ان أمضيت بعض الساعات مع فتاتي على سطح الباخرة ، فلم أر امرأتي كشأنها في اكثر الايام .

وبينما كنت استعد للنوم ، دخلت ونظرت اليّ :

ـ الا تسألني اين كنت ؟

ـ انت حرة في جميع تصرفاتك .

– لقد كنت في قعر الباخرة ، في غرفة الوقود .

انهم وحوش ، هؤلاء الوقادون .. يا الهي ، انني ، ارتجف وبينهم وحش يبلغ طوله مترين وهو كالغوريلا تماماً ، مساكين . انهم لا يشاهدون ضوء النهار ولا يكلمون اي انسان .

لقد رقصت لهم ، نعم .

ورأيت آثار الشحم والزيت والفحم على جسمها الابيض المصقول ، ونظرت اليها قرفاً : هل فعلت ذلك ؟

– نعم ، وهل الذنب ذنبي اذا كنت جميلة وجميع الرجال يشتهون مفاتن جسدي ، وانت ، الا تحبني يا زوجي العزيز .

وتقدمت مني ، وجلست الى حافة السرير وهي تلتصق بي .

– اليك عني يا ساقطة .

ووضعت فمها على فمي ، وقاومت كثيراً ، ولكنني استسلمت اخيراً .

وفي الليل ، حدثت الكارثة ، وانفجر اتون الوقود ، وحدث هرج ومرج عظيم ونزلت قوارب الانقاذ الى البحر .

وقمت كالمذهول بين هؤلاء المجانين كل يبحث عن النجاة والهرب ، وأخذت الباخرة تحترق ، واردت ان اركض الى غرفة فتاتي ، فأنقذها ، ونظرت الى زوجتي فرأيتها نائمة لا تشعر بشيء ، وكان جسدها العاري يلمع تحت اشعة النيران المتصاعدة ، جسدها الملطخ بالبقع السوداء .

نعم .. هذه هي ساعة الخلاص • سوف الخلص منهـا الى الابد وانقذ فتاتي ، وخرجت وأنا اتجه صوب غرفة الفتـاة الطاهرة • ولكن قوة جعلتني اعود من نصف الطريق ، قوة لا اقدر على وصفها .

ودخلت الى غرفتي ، وانحنيت على فم زوجتي المنتفخ اشبعه لثماً وعضاً . وأفاقت من سكرها ونومها مذعورة ، ورأت النار ، ووضعت ذراعيها حول عنقي ، وهكذا انقذتها ، نعم ، وقد ماتت الاخرى ، ماتت لاني لم ادركها .

وها انا اليوم هنا حيث تراني مع زوجتي .. رجل معذب الضمير ، رجل ذليل يعبد الجمال الحيواني .

وسكت ثم اخذ يرسل الزفرات الحارة عندما عادت امرأته وهي تضحك بصوت عال :

– لقد اتصلت بكمال .. سوف يأتي الى منزلنا كي يمضي السهرة .. وجلست الى الطاولة ، وبعد برهة قام زوجها الى الداخل .

– ماذا هل شكا اليك همه ، لا تصدقه انه مجنون كاذب ، انه يقول ذلك الى كل الناس ، انني امرأة شريفة . كل ما افعله هو انني اراقص اصدقاء زوجي واقبلهم قبلات بريئـة .. هل الذنب ذنبي اذا وهبني الله جسماً جميلاً .

اسمع .. هل تحب ان تراني .. اذاً سوف اطلب من زوجي

ان يدعوك غداً الى الحفلة التي نقيمها .

وعاد زوجها ، وطلبت منه ان يدعوني ودعاني ، ثم ودعني وهو يقول :

كان يجب عليّ ان اتركها تحترق ؟

ابن الصعاليك

(دنيا تدور ، ترفع الوضيع ، وتخفض العالي)
ـ مثل مصري ـ

●

ورفع سامي رأسه عن كتاب الحقوق المدنية ، وراح ينظر بعيداً ، الى الافق الازرق حيث الحياة تتوارى وراء هذه الغيوم البيضاء فلا يعرف الانسان من سرها الا انهـــا حياة . وكانت الشمس على وشك الذهاب الى بلاد ثانية وأفق ثان .. فوضع الكتاب جانباً وابتسم ابتسامة السخرية المرة ، كيف يعيش الانسان هذه الحياة القصيرة وتبقى هذه المياه وهـذه الامواج وهذه الصخور تتحدى الزمان وتضحك من الاجيـال تتراكم على بعضها .

واخذت الامواج السوداء تضطرب وهي تنـذر بهبوب العاصفة الهوجاء .

وكان سامي يدرس على شاطىء البحر المتوسط بالقرب من الصخرة العالية التي اخذت شهرتها الواسعة من حوادث الانتحار

الكثيرة ، وكان يشعر بالحرية الكبيرة وبالدنيا الواسعة الشاسعة. ولكن الليل هنا بالمرصاد ، ويجب عليه ان يعود الى منزله .. الى بيته .. وهل يقدر ان يسمي هذا الكوخ الحقير بيتاً ، هذه الغرفة الخشبية التي يعيش فيها مع امه وابيه واخواته ، الهي .. كيف ينام وكيف يدرس وكيف يستقبل الحياة الجديدة في كل صباح من افق هذا الكوخ الحقير .

انه يعلم ان والده لا يقدر ان يقدم له اكثر من هذا ، انه يعلم انه يضحي بالشيء الكثير كي يعلمه .

انه ، منذ وصوله من الضيعة ، وهذا من وقت بعيد ، لا يزال يعمل « زبالاً » في البلدية ، ويأخذ بعض الليرات في كل يوم عن عمل متواصل شاق يغسل به المدينة من اوساخها وادرانها .

وكانت والدته العجوز تساعد هذا الاب المسكين ، فتذهب الى العائلات الكبيرة وتقوم بغسل « ثيابها » فتتقاضى عن ذلك بعض الليرات تضمها الى ما يكسبه سليم ، والد سامي ، كي يذهب كل ذلك الى صناديق جامعة الحقوق .

وكان سامي تلميذاً نجيباً،حصل على شهادة البكالوريا بقسميها ببراعة ، ثم التحق بمدرسة الحقوق ، وكم نام والده على الطوى كي يوفر له بعض الليرات يدفعها له ، وكان سامي يشعر بذلك ويتألم . وكان شاباً طويل القامة جميل الملامح في نظراته اسى وحزن ، وفي ابتسامته غموض مبعثه هذا القدر الغاشم الذي يحارب الفقراء فلا يتركهم الا حطاماً .

وكان يشعر بفقره وتفاهة ثيابه ، ولذلك فلا تراه الا وحيداً في ساحة الجامعة يتمشى وهو يفكر ويفكر .

وكانت الايام تمر وهو يترقب الايام ، علها تبتسم قليلاً بعد هذا العبوس الدائم .

انه يعلم ان حياة المدرسة غير حياة الجامعة .. ان التلميذ بانتقاله من المدرسة الى الجامعة ، ينتقل من الحداثة الى الشباب. وللشباب واجبات . ولهذه الواجبات مصروف كبير .. وكان يرى اولاد العائلات الكبيرة وبنات الطبقة الارستقراطية في بذخهم ومصروفهم وسياراتهم الفاخرة فيبتسم بأسى ولكن بغير حسد .

وكم كان يحز في قلبه رجوع والده بعد انصاف الليالي من التنظيفات ، والده العجوز الذي يحارب برد الشتاء وزمهرير الليالي القارسة بجسمه النحيل ومعطفه الممزق .

وكان يشعر بالثورة تغلي في عروقه ، هذه الثورة التي تريد ان تحطم كل شيء امامها .. ثم يطلع الصبح ، فيعود الى سابق تفكيره الرزين .. وأراد الحظ ان يبتسم له بعض الشيء ، فتمكن ان يعطي بعض الدروس الخصوصية لبعض التلاميذ ويكسب بعض الدراهم .

اعتنى بهندامه ومظهره ، وفي ذات يوم قال له والده :

— اسمع يا بني ، لقد وجدت لك غرفة لا بأس بها .. اسمع ، لا تقاطعني ، انا اعلم انه يجب ان تسكن لوحدك . ان دروسك ،

لا يزالون في الضيعة .

وبعد اخذ ورد قبل سامي . . وسكن وحده في غرفة وحيدة تقع في أعلى بناية كبيرة ، وكان صاحب العمارة قد بنى هذه الغرفة « لغسيل الثياب » ولكن الطمع جعله يستغني عنها ، فيؤجرها الى سامي ببعض الليرات .

وكانت البناية تتألف من ثمانية طوابق وقد منعه صاحبها من استعمال المصعد الكهربائي . . فكان يصعد على السلالم ويرتاح بين كل طابق وطابق كي يلتقط انفاسه التعبة .

ومرت الشهور سريعة .

وكان لا ينقطع مطلقاً عن زيارة اهله واخذ يرد لهم بعض الجميل ، ويطلب من والده ان يترك عمله القاسي .

وكان والده يستمع الى كلامه وهو يتذكر الليالي الباردة القارسة ، ولكن هذا لا يهم انه لن يترك عمله . . انه يريد ان يفهم الناس ان للصعاليك حقاً في الحياة .

وفي ذات مساء ، كان سامي يعود من سينما الاوبرا حيث شاهد فيلماً نفسانياً جميلاً . . وكان يمشي في ظلام الليل وهو يفكر بالطبائع البشرية ويحلل نفسانية بني الانسان .

ووصل الى البيت ، وأخذ نفساً طويلاً ثم ابتدأ يصعد هذه السلالم الكثيرة .

وعند الطابق الخامس ، شعر بالتعب المضني فوقف قليلاً في ظلام الليل واسند ظهره الى الحائط .

وفجأة . رأى الضوء في الشقة المواجهة يملأ احدى الغرف الفاخرة . المفروشة بالدمقس وبالحرير . فتشع الغرفة بمفروشاتها الارستقراطية وبذخها الذي لا يرحم .

وانتظر قليلاً ثم ...

يا إلهي .. واقترب اكثر وأكثر وهو يتحسس الحائط وراءه . كيف خلق الله كل هذا الجمال ، وأين وجدته الطبيعة الرائعة » ومن اين استمدت شهوة هذه الشفاه وجمال هذا الجسم العاري ولون هذا الشعر المتماوج .

هل اخذت سواده من ظلام الليل الحالك ام من اجنحة الغراب ام من الفحم الاسود في طبقات الارض .

ومن اين اخذت لون هاتين العينين الفاترتين ، امن البحر الازرق ام من السماء في ربيعها الدائم ام من الياقوت والمرجان واللؤلؤ في اعماق المحيط .

ومن اين جاءت بهذه الفتنة الطاغية .

وابتدأت تتعرى ، وهل هنالك اجمل من امرأة تخلع ثيابها كي تنام في فراشها الدافىء .. ان امرأة تتعرى تعادل قصيدة شعرية لأكبر الشعراء .

وكان سامي ينظر اليها ويفكر .. ينظر اليها وشعور الحرمان يأكل قلبه أكلا .

لمن خلق الله هذه المرأة وأمثالها .. ومن هو الذي يتمتع بكل هذا الجمال وهذه الفتنة وهذا البذخ الفاجر .

ليس له طبعـاً .. ان الصعاليك يجب ان يبقوا حيث هم ، وان ابناء الصعاليك خلقوا في الحضيض ويجب ان يظـلوا على الحضيض .

وراح يتمتم في قلبه : الصعاليك .. الصعاليك ..

وتابـع صعوده الى غرفته التي تلاصق السماء .. ان الملائكة تراه طبعاً لأنه قريب منها .. ولكن لماذا لا ترحمه قليلاً .. لماذا لا تنظر الى بؤسه وفقره.. آه ان الملائكة لا تنظر الى الصعاليك طبعاً .. من الذي يربح أوراق اليانصيب الكبيرة ويربـح في السباق وفي الميسر وفي كل ألعاب الحظ .. انهم الاغنياء ابنـاء العائلات الكبيرة .. اما الصعاليك فهم دائماً في المؤخرة .. وهو منهم .

ووصل الى غرفته ونام وهو يفكر .

ومر يوم واسبوع وشهر . والدنيا لا تزال حيث هي وهو يفكر بالفتنة الطاغية ..

الى ان كان ذات يوم ..

كان قادماً الى غرفته ودخل من باب العمارة ، وكانت هي في المصعد . ولما رأته قادماً . امرت العامل بالانتظـار ورأى نفسه امام الامر الواقع ودخل معها الى المصعد .

وتصاعدت الى انفه رائحة العطور الغالية ،العطور الانيقةالتي تجعله يشعر انه في بساتين غناء تحيط بها الزهور وتغني من حولها الملائكة .. وقالت له بصوت اهتزت له اوتار قلبه :

- انت ساكن هنا .

– نعم يا سيدتي .

– كيف .. نحن جيران .. انني لم اشاهدك مطلقاً .

– انني اسكن على السطوح يا سيدتي ، نعم لا تتعجبي ، هذه الغرفة التي جعلها صاحبها لغسل الثياب ، وقد اشترط عليّ ان لا استعمل المصعد الكهربائي .

وكانت تنظر اليه والدهشة على شفتيها الجميلتين .

وكان هو في نفس الدهشة .. نعم .. كيف تمكن ان يكلمها هكذا .. كيف قدر ان يستعمل معها هذه اللهجة الساخرة . وهذا الاسلوب المر .

– انت تصعد كل هذه الطوابق كل يوم ، هذا حرام ، هل تريد مني ان اكلم صاحب العمارة انه صديق ولن يرفض لي طلباً.

- كلا يا سيدتي ارجوك .. دعيني في غرفتي ، وانا افضل السلالم لأنني عندما اصل الى الغرفة اكون منهوك القوى فاستلقي على فراشي وانام حالاً ولا افكر هكذا بهذه الدنيا السخيفة .

وكانت قد وصلت الى شقتها فخرجت من المصعد وهي لا تزال في دهشة واستغراب وكانت تتمتم بكلمات الوداع وهي في حيرة .

ومرت الايام واصبح لا يفكر الا بها وكان يبتسم عندما يخلو الى نفسه كيف كلمها دون ان يرتبك او يرتجف او يتلعثم . هو الصعلوك ابن الزبال الذي لم يكلم امرأة في حياته ..

وشغلت كل قلبه وكل كيانه وكل دنياه ..

وسأل عنها ، فعلم انها ارملة مات زوجها الهرم بعد ان ترك ملايينه وعمارته وثروته التي تقدر بالملايين ..

وانها تعيش على هواها .. تبحث عن الحياة فلا تجدها ..

فتتنقل بين عواصم الشرق والغرب علها تجد بعض الجديد في هذه الدنيا المتشابهة ..

وعادت من القاهرة بعد ان تفقدت بعض املاكها هنالك ..

ورأى ضوء غرفتها يعود فعادت اليه الحياة .

وأراد القدر ان يلتقي بها مرة ثانية .. وكان ذلك في سينما روكسي .. خرج من غرفته في الساعة التاسعة ورأى عنوان الفلم « سفينة القدر » فأعجب به .. وهو الذي لا يزال يبحث عن رحمة القدر .. عله يجد شرحاً لظلمه في « سفينة القدر » .

ورآه احد زملائه في مدرسة الحقوق .

هالو سامي .. هل انت داخل .. خذ هذه الورقة . لقد غيرت فكري لانني ذاهب مع « توتو » الى الليدو ..

وكان هذا الزميل من ابناء العائلات الكبرى .. ولكنه كان يشعر نحو ابن الصعاليك بالعطف والمحبة لسبب مجهول لايدركه.

وأخذ سامي الورقة وصعد الى البلكون وجلس على كرسيه .. والتفت شمالاً..فرآها..نعم .. وهكذا شاءالقدر .

— هالو .. انت هنا .

— نعم .

— هل لا تزال تصعد على السلالم.انني ارى صحتك فيتحسن.

– نعم .. ان صعود السلالم رياضة مفيدة .

واخذا يتحدثان .. وأعجبت بحديثه وأفكاره .. وفي آخر الفيلم كانت تصارحه بأن اللقاء الاول قد ترك في نفسها اثراً كبيراً .

ونظرت اليه من خلال افكارها هي .. في بذلة جميلة وثياب فاخرة .. فرأت رجولته الناعمة تظهر .. ورأت هذا الغموض في عينيه ينقلب الى فتنة تدير عقول النساء .

وخرجا سوياً .. وطلبت منه ان يصعد معها في سيارتها « الكاديلاك » الفاخرة .

واذعن للامر ... ودعته الى كأس وسكي في منزلها .. فقبل وهو الذي لم يتذوق طعم الخمر في حياته .

وشعر بالدنيا تدور .. وأخذ يتكلم بجرأة اكثر من الاولى.

وسألته عن عمله ، فأخبرها انه طالب حقوق وانه يعطي بعض الدروس الخصوصية .

– وهل تحسن اللغة العربية ؟

– طبعاً .

– وهل انت مستعد ان تعطيني بعض الدروس ؟ ارجوك ان تقبل ، ان لغتي ضعيفة جداً وأنا لا احسن إلا الفرنسية .. ارجوك .

وقبل .. بعد تردد بسيط .

وكان يحتفظ برجولته وكرامته .. فيعطيها الدرس في جو رزين .. لا يضحك ولا يمازح .

وكانت هي تحاول ان تخرجه قليلاً عن وقاره .. ولكنه

كان يستمد هذا الوقار من فقره بعد ان ينظر الى ثروتها الكبيرة ويعلم ان الوقت سوف يمر سريعاً .

ومرت الايام .

وكانت شاردة حالمة وهي تنظر الى سامي يشرح لها اسرار الصرف والنحو .

— سامي ..

— نعم يا سيدتي .

— لماذا لا تناديني باسمي .. الا تعرف اسمي .

— نعم يا سيدتي .. اعرفه .

— آه .. ارى ان ذلك مستحيل .

وفي عطلة الربيع ، ذهب سامي الى ضيعته .

وفي اليوم الثالث ، شعرت بالفراغ .. هذا الفراغ الكبير الحلو الذي كانت تبحث عنه .. هذا الفراغ الذي اكد لها انها تحب .. ولأول مرة في حياتها .

وأخذت تبحث عنه .. وتسأل عليه .

انها تعلم الآن ان هذا الشعور ليس استلطافاً بسيطاً .. كلا . انه حب من اعماق نفسها وداخل كيانها .

انه حب جارف قوي .

وعاد سامي .. وعندما دخل لاعطاء الدرس .

— سامي .. انني احبك ، هل تتزوجني ؟ .

— لا شك ان سيدتي سكرانة .

لست سيدتك يا سامي .. انني حبيبتك .. انني لك ..

وكانت هي ككل النساء ، تشعر بان سامي يحبها .. لقد

رأت نظراته الكثيرة وقرأت اعترافاته في عينيه وحرارة بريقهما.

واقتربت منه .. والتصقت به ، وكانت ترتدي « بيجاما » حريرية تظهر بوضوح مفاتن هذا الجسد الفتان .

— سامي اقترب مني .

— نعم يا سيدتي .

وأخذها بين يديه ، وضمها الى صدره وشعر بانه يضم الحياة كلها .

وبعد اسبوع تزوجا .. وبعد اسبوعين سكنت عائلته في قصر كبير فاخر

وبعد شهر كان يتمتع بالثروة الكبيرة والجاه العريض .. ويركب الى جانب زوجته في السيارة الفاخرة .. ويمر في شوارع بيروت فتلاحقه نظرات الناس متسائلة في حسد وأسى .

وأمام بحيرة « كومو » في ايطاليا .

وعلى شرفة فندق «الامبريالو» الشهيرة كانت زوجته تسأله :

— سامي .. هل تعلم من انا .

— انت زوجتي وحبيبتي .

— لقد كنت ممرضة عند الرجل العجوز .. وقد تزوجني .. لقد كنت فتاة فقيرة .. ابنة ابوين معدمين ، فأبي عامل بسيط وامي خادمة .

وضمها اليه بعطف وحب ولوعة :

— الحمد لله .. لقد عادت ابنة الصعاليك الى ابن الصعاليك .

— ولكننا نتمتع بثروة ليست لنا .

— وهكذا اراد القدر .. وهكذا شاءت ملائكة السماء .



ناعسة الغجرية

هذه حادثة جرت لي في عام ١٩٤١ وكنت في ذلك الوقت لا ازال شاباً يافع العود في الثامنة عشرة من عمري . ولقد كتمتها طويلاً ، واخفيت سرها وكلما تذكرتها اليوم تذكرت البوهيمية باخلاقها الشاذة التي وهبت كل شيء لكل انسان ولم تهب لي شيئاً .

●

كنت يومئذ اصطاف في قرية من قرى المتن العالية ، قرية جميلة ضاحكة ، قوية لا تزال تحافظ حتى اليوم على البساطة والوداعة والهدوء والسذاجة ، كل هذه الاشياء التي تندمج في مخيلتي باسم القرية .. فالمنازل قرميدها احمر والطرقات متعرجة ، ورائحة البلوط والسنديان ، والصنوبر ، تنتشر على الآكام والربى ..

والعين تنساب صافية في آخر القرية قرب السنديانة الكبيرة ، التي تظلل المسافر التعب .

كنت قد حصلت على شهادة البكالوريا الثانية ، بعد تعب ودرس ، فتركت بيروت وحرها وصعدت الى القرية ومعي الكتب والمجلات وبعض التحف الأدبية لأندريه جيد وزولا

وغيرهما.. وكنت في ذلك الوقت
اخذت الشهادة على حدقولهم ، وكانوا يغدقون عليّ المال والهدايا.

وكنت انا في هذا الوقت اميل الى الهدوء والتفكير.. فانني امر في مرحلة نفسانية دقيقة ، وروحي تهدف الى المثل العليا والنظريات المثالية .

وفي ذات يوم ، بينما انا جالس على «السطيحة» اقرأ ، سمعت صوتاً جميلاً ينادي :

– بصارة ، براجة ، بتشوف البخت ، هل تريد ان تشوف بختك يا خواجة .

فرفعت عيني عن الكتاب ، ونظرت الى صاحبة الصوت ، فاذا هي غجرية من هؤلاء «النور» على وجهها وشم اخضر ، وفي عينيها بريق خاطف .. كانت في الخامسة والعشرين من عمرها ، ممتلئة الجسم بغير بدانة ، تميل الى الطول ، ذات لون قمحي قرميدي .

وكان وجهها القاسي يقطر الشهوة قطراً .. وشفتاها المقلوبتان تنفرجان عن صفين من الاسنان في بياض اللؤلؤ ونظام مدهش ، وكانت قد لفت « العصبة » على رأسها ، فبدا من تحتها شعرها الاسود الفاحم ، وقد خيل لي انه ازرق عندما لمعت عليه خيوط الشمس الحمراء .

ومن الجلي الواضح انها كانت ترتدي هذا الثوب الغجري فقط وقد ربطته عند الوسط بحزام عريض من الجلد ، فبرز نهداها الى العلاء ، وهما يكادان يخرجان من فتحة الثوب العليا ،

وظهر جسمها الفاتن بكل وضوح .

وكانت تنظر الي ترقبني بعين فيها من اللؤم والسخرية والتحدي اكثر مما فيها من الانتظار .

واخيراً قالت بغنج ودلع :

— هل عجبتك يا خواجه ؟!

فقلت وأنا في ارتباك كلي :

— نعم .. على الرأس والعين .

وسرها ما رأته من ارتباكي وتلعثمي ، وكانت تقرأ في عيني مبلغ تأثيرها عليّ .. ورأت منذ اللحظة الاولى انني أسير عينيها الممتلئتين بجاذبية هائلة ، غريبة قاتلة .

وقالت لي : هات يدك .

وأخذت يدي ، وراحت تفركها بين يديها وهي تضحك ، وكنت انا ارتجف بشدة ، ولست ادري كنه الشعور الذي انتابني ، فقمت كالمجنون ودخلت الى المنزل . وفي اليوم الثاني ، رأيتها قرب البيت وأشارت الى آخر الوادي عند سفح الجبل وقالت :

— هذه خيمتنا ، تعال لزيارتنا .

وعلمت منها انها متزوجة تسكن مع حماتها واولاد حماتها الصغار ، وانها سوف ترحل بعد شهر الى سوريا لأنها من هنالك ، وان زوجها ينتظرها في السهول السورية ، وبعد يومين ، رأيت نفسي مسوقاً الى بيتها ، وكانت الشمس قد احمرت بعُض الشيء وهي ترنو من الافق البعيد .

دخلت الخيمة ، وكانت كبيرة مقسومة الى قسمين والحاجز

آخر الحاجز ، اي عند مدخل الباب ، صندوق خشبي جلست انا عليه . وكان القسم الايمن خاصاً للحماة واولادها ، وهي امرأة كبيرة في السن قاسية اللهجة لم ترحب بقدومي .. وكان اولادها ثلاثة اكبرهم في العاشرة .

اما القسم الايسر ، فقد كان مخصصاً للغجرية ناعسة ، التي كانت جالسة تسرح شعرها الفاحم ، وهي تنظر اليّ وتبتسم ابتسامات لم افهم معناها .

وعندما رفعت يديها ، رأيت نهديها يظهران بوضوح . ولم تأبه لنظراتي النارية بل مضت في تسريح شعرها عارية الصدر وكأنني غير موجود .

وجلست ، وطالت جلستي ، وناعسة الغجرية تنظر اليّ وهي تبتسم .

وغابت الشمس ، وابتدأ الظلام ينتشر بسرعة على تلك السهول ، فقمت مودعاً .. وتبعتني ناعسة ، وشعرها لا يزال مسدلاً على كتفيها وهو يزيد من اغرائها وجمالها .

واقتربت مني ، وأخذت يدي بين يديها ثم قربت وجهها من وجهي ، فشعرت بانفاسها اللاهبة ، وعند ذلك ارتدت الى الوراء وقالت :

— اعطني ليرة لأنني اريد ان أشتري كازاً للسراج .

فأخرجت محفظتي بيد ترتجف ، وعندما رأتها ، مدت يدها واخذت كل ما فيها ، وهو مبلغ ضئيل لا يتجاوز الخمس ليرات.

وأردت ان اقترب منها ، فقالت بكل برود :

– اذهب .

فوقفت وأنا مذهول ، فقالت بصوت عال :

– اذهب سريعاً ايها المعتوه ، ثم دفعتني بقوة الى الوراء .

فذهبت وانا ألعنها وألعن جنونها .

وفي اليوم التالي ، رأيتها تتكلم مع بعض الجنود الفرنسيين في سوق البلدة ، الذين خيموا في الطرف الثاني من القرية بعد ان احتلوا قصر وجيهها المعروف .

كانت تمشي في الساحة مختالة وقد ارتدت جزمة من الجلد الاسود ، وهي تتمايل باغراء وغنج ، كانت تبتسم لكل مار ، ولكل بائع ، ومن الطبيعي ان يتحرش بها الجنود فكانت تجيبهم بضحكة مستهترة وهي تشجعهم على ذلك .

وعندما رأتني زادت من ذلك ، فمررت دون ان انظر اليها ، وضحكتها الرنانة تتبعني وهي تمزق احشائي .

ومضى يومان ، وفي اليوم الثالث ، عند الساعة العاشرة صباحاً ، رأيتها جالسة على طرف « سطيحة » منزلنا .

ونظرت اليّ وهي تبتسم ثم قالت : لماذا لا تعيد زيارتنا ، انت غضبان علينا ، تعال اليوم .

ولم تنتظر طويلاً ، بل قامت وهي تمشي مشيتها المغرية ، وعندما ابتعدت ،نظرت اليّ ثم ارسلت قبلة على اطراف اصابعها.

وقلت في نفسي : لن اذهب . لن اذهب اليوم .

وفي المساء ، كانت خطواتي تقودني اليها وكأنني مسيّر بقوة خفية .

وجلست على الصندوق
مع اولادها ، اما ناعسة ، فقد استلقت على جنبها وهي تنظر الى ورق اللعب تبحث عن خبايا المستقبل .

وعندما رأتني ، لم تـكلف نفسها عناء الكلام ، بل نظرت اليّ وابتسمت .

ثم قالت : لقد تأخرت .

ورحت اكلمها وهي لا تجيب .

وكان شعرها ينسدل على كتفيها ، فقالت لي أخيراً :

— تعال اربط شعري .

وانحنيت عليها ، واخذت شعرها بيدين مرتجفتين ، وعندما انتهيت أردت ان اضمها اليّ ، فدفعتني بقوة وشتمتني بصوت بارد كالثلج ردّ اليّ صوابي .. وعدت الى الصندوق وهي لا تعبأ بي . ثم راحت ترسل نظراتها النارية الي متحدية .

وخرجت وانا كالمجنون ، وعدت في اليوم الثاني كعادتي .

وكانت كل يوم تزيد في اساليب الاغراء والمشاهد المثيرة . وكنت اذا أردت ان اقترب تدفعني بقوة هائلة من جسمها الرياضي الجميل .. وكانت تقول لي انها تجد لذة كبيرة في تعذيبي .

وكنت أعود في المساء الى منزلي والقي رأسي على الوسادة ولا اجد النوم .

وانقطعت بعض الايام عن الذهاب .

وفي ذات يوم ، عند الساعة الثامنة مساء رأيتها تحت الشجرة قرب منزلنا وعندما رأتني قالت :

– انا انتظرك .

– اليك عني .

– لماذا .. وهل تريد مني ان اخون زوجي ، انني امرأة شريفة .. انتم شباب المدن تعتقدون ان الغجريات فاجرات ، وأنا لا ارضى بخيانة بعلي ولو دفعت لي مال الدنيا .

وكانت تتكلم بلهجة صادقة مقنعة .. وأسقط بيدي امام هذا الجواب المفحم ، ولم أتمالك نفسي من الاعجاب بها قلبياً .

واقتربت مني ، والتصقت بي . ثم راحت تقبلني.. وكنت احس بحرارة هذا الجسد الناري .. وأخذت وجهي على صدرها وهي تقول : يجب عليك ان تكتفي بذلك .

ثم ودعتني وانصرفت.. بعد ان وعدتها بأنني سوف أزورها في مساء اليوم الثاني عند الساعة التاسعة تماماً .

وقالت مكررة : اياك ان تأتي قبل الساعة التاسعة أو بعدها .. التاسعة تماماً .. لأنك سوف تشاهد مفاجأة سارة .

وفي اليوم الثاني .. نزلت باكراً الى بيروت وذهبت الى البحر .. وفي الساعة الثامنة كنت في قريتي .

وبينما انا في المنزل اتهيأ للخروج اذ طرق بابي الليوتنان اندره بيران وهو شاب فرنسي مثقف وابن عائلة كبيرة .. وكانت الصداقة بيننا قد توطدت .. وجلسنا في غرفة الاستقبال ونحن نتحدث بعد شرب القهوة .. وانتقل بنا الحديث الى النساء .

ثم راح يحدثني عن امرأة يعرفها وعن شهوتها الجامحة وطرقها الجهنمية في الحب والخلاعة .

ـ ان هذه المرأة كالبركان الثائر .. ان الله خلقهـا للحب وللحب فقط .. وهي .. الملعونة .. تعلم ذلك .. ان فيهـا جاذبية هائلة تجعل الرجل يتبعها كالعبد الذليل ..

ثم قال : انت تعرفها طبعاً ..

ـ كلا ..

ـ كيف .. انك من القرية .. ولا تعرف ناعسة التي عرفها جميع الرجال هنا ..

ـ ماذا تقول .. ناعسة .. الغجرية ..

ـ نعم .. هي .. ولكنك لا تزال طفلاً .. لا تعـلم بهذه الامور ..

وهنا وقف اندره .. وقد هاله منظري ووجهي الاصفر وأصابعي المرتجفة ..

ـ انت مريض .. قم واذهب الى الفراش .

وودعني وانصرف .. وبقيت مدة من الزمن كالمذهول افكر في كل هذه الاشياء التي قالها اندره ..

وكانت الساعة تقارب التاسعة عندما اقتربت من الخيمة ..

ورنت في اذني لهجة فرنسية .. فترددت في الدخول وانا ارتعش .. ثم اقتربت على مهل ونظرت من خلال الشقوق .. فرأيت .. ويا لهول ما رأيت ... اندره بنفسه جاثماً عليها وهي تقبله بوله وجنون .

ورحت انظر وانا كالمشدوه لا ادري ما افعل .. وكنت اراها تلتفت بين حين وآخر الى ناحية الباب .

ونسيت نفسي.. فاتكأت على الخيمة وأنا احسبها جداراً..
فمالت الى الداخل .. ورأيت ناعسة ترفع رأسها وتنظر الى ناحيتي .. وقرأت في عينيها انها فهمت انني هنا ..

فضحكت بكل فسق .. ثم القت نفسها على اندريه وشدته اليها وكأنها افعى خارجة من بركان ثائر ..

وجلست في الظلام على صخرة بعيدة .. وبعد ساعة او ما يقاربها .. خرج اندره وهو يترنح كالسكارى .

ومضت خمس دقائق .. توجهت بعدها الى الخيمة .

وكان الضوء يملأ المكان .. ورأيت آثار فم الجندي وأسنانه على جسمها وقالت متحدية :

ـ هل رأيت المفاجأة الحلوة ..

ـ ايتها السافلة الفاجرة ..

وخرجت وضحكاتها الساخرة تلاحقني .. بعد ان بصقت على وجهها .. وسمعت شتائمها تتبعني ..

وفي منتصف الطريق .. وقفت .. لماذا .. نعم .. لماذا لا اعود ؟ وعندما رأتني .. قالت ببرود :

ـ اذهب .. عد الى بيتك حالاً .

وهجمت عليها كالوحش الثائر .. فأخذت تكيل لي اللكمات .. وجرحتني بأظافرها كاللبوة . ورحت اشدها من شعرها وهي تضربني بكل قوتها .. الى أن ألقت على رأسي شيئاً ثقيلاً فقدت معه الوعي ..

ولم افق إلا بعد ساعة ووجدت .. نفسي على باب الخيمة ..

وبعد أيام ذهبت الى الخيمة .. ورأيت حماتها .. فعرضت عليها المال .. فقالت لي : لماذا لم تتكلم بهذه اللهجة منذ البداية؟

تعال غداً عند منتصف الليل ..

واتيت .. ولكن عبثاً ..

وفي احدى المرات قالت لي وهي تسرح شعرها ..

ـ اني لا اكرهك .. بل اني اميل اليك بعض الشيء .. ولكنني اجد لذة كبيرة في تعذيبك .. ان لذتي عندما أراك تتقلب على نار الحرمان تفوق كل لذة عرفتها حتى اليوم ..

ان جميع الرجال هنا عرفوا طعم قبلاتي .. ولكنك لن تعرف شيئاً من هذا ..

وكدت اقتلها ..

وبعد مدة امضيتها في بيروت .. عدت في ساعة متأخرة من الليل الى الجبل .. وفي الصباح الباكر نظرت الى طرف الوادي الاخضر فلم ار اثراً للخيمة السوداء عند سفح الجبل .. لقد ذهبت ناعسة وتركت لي ألم الحرمان .

الفاكهة المحرمة

تعرفت به في فلسطين ، وبالتحديد في تل ابيب ، وكان بيننا هو ا. ان. وهو شاب فلسطيني متحمس لكل ما هو عربي . وتوطدت اواصر الصداقة بيننا لأني رأيت فيه شاباً يهودياً غير متحمس للصهيونية بل هو يحارب كل اعمال الارهاب اليهودية ، وكان شاباً جذاباً جميلاً غنياً يعمل في المحاماة .

وأخذت أزوره في بيته بين حين وآخر وكان يستقبلني بكل ترحاب وكل كرم .. وكنت اجلس معه في غرفة المكتب حيث نمضي الوقت كله نتحدث في الأدب والسياسة وكان اطلاعه في الادب الفرنسي والسياسة العالمية واسعاً جداً .

وفي ذات يوم بينما اسير في شارع اللنبي رأيته وقد جلس على باب احد المقاهي وهو شارد الفكر ينفث من دخان لفافته وهي تحترق . ونظر اليّ وكأنه لم يعرفني ثم قال : تعال يا صديقي .. تعال معي في نزهة الى البراري والحقول .. اني في حاجة ماسة الى صديق محايد يسمع كلامي وشكواي .

وصعدنا الى سيارته الفاخرة . وسرنا نحو الحقول والبساتين

وقال لي : هل تعرف زوجي ؟

فاستغربت هذا السؤال وقلت : كلا لقد رأيتها عرضاً وعلى الاصح لمحتها في المنزل تطوف بين الغرف .

ــ لا بد انك سمعت عن جمالها . نعم .. نعم ..

وكان يقود سيارته وهو ينظر الى الطريق المستقيم وكأنه لا يراه وكانت يداه تقبضان على المقود بعصبية ظاهرة ، وفجأة ابتدأ الكلام بصوت عميق ، وقد ظننت في اول الامر ان هذا الصوت يصدر من الراديو ، لأنه كان خالياً من معاني الحيـاة . وكان يتكلم وكأنه يكلم نفسه ، يوجه الكلام الى مستمع غير موجود .

.. أنا شاب لم أولد غنياً ولم أنل من نعيم الحياة وبهجتها إلا النزر القليل . وأنا غريب..نعم غريب عن هذه الارض الطاهرة والتربة المقدسة ككل هؤلاء الصهيونيين . انا ابن الغرب وربيب بلاد تجري من تحتها الانهار الزرقاء ، وتتراكم على ارضها الثلوج وتغني حوريات النعيم على شواطئها . وفي سنة (١٩٣٨) دخل جنس من البشر الى بلادنا . وقمنا ذات يوم على صوت الجزمات في الشوارع وعلى أوامر تصدر بصوت جاف . ونظرت الى هذا الجنس من البشر فرأيت التحدي في عينيه والقوة والبـأس في حركاته والبطش والكبرياء في كل خطوة يخطوها ورأيت الكره والاحتقار نحو شعبنا .. رأيتهم يعاملوننا وكأنناحيوانات مقرفة وسخة يأنفون حتى من التطلع الينا . وكانت بنـات حواء من جنسنا يحاولن اغراء هؤلاء الآلهة .. بنـات جنسنا الجميلات

الهائلات .. ولكن عبثاً .. ان هؤلاء الرجال لا يعترفون إلا بوجوب سيطرتهم على العالم .. ان الاشياء العادية والحسية لا وجود لها ولا قيمة عندهم .. انهم يعيشون في غير هذا العالم ..

يسعون وراء حلم يراودهم منذ الاجيال الطويلة.. حلم يمشون اليه كأن قوة مغنطيسية تسيرهم .. لا يشعرون بالعذاب ولا بالتضحيات . انهم يمشون .. ويمشون .. يقعون ثم ينهضون كي يعاودوا السير من جديد دون ان يضمدوا الجراح ويدفنوا الموتى ، ولست ادري هل يصلون الى هذا الحلم ، الى هذا القمر الذهبي الذي يتلألأ على رأس جبال هملايا . وانا لا اقدر ان الومهم على احتقارهم لنا .. كلا بل اترك هذه الاشياء للتاريخ .

وهربت .. تركت البلاد وأنا ابكي.. لم يضربوني ولم يعذبوني ولم يعترضوني في شيء .. ولكن هذه النظرات هي التي دفعتني الى الهرب .. نظرات هي مزيج من السخرية والاحتقار .. مزيج من اللؤم والازدراء .. هربت كي لا أرى هذه النظرات تلاحقني اينما حللت .. ووصلت الى فلسطين ، وعادت اليّ ثقتي في كرامتي وعزة نفسي ورأيت شعباً يعمل كالنحل وكالنمل ، وأنا اظن بانني اقدر ان اعيش بين هؤلاء الصهيونيين الذين يسعون الى تأليف دولة هنا . انهم مثلي مضطهدون تركوا بلادهم لأنهم وجدوا الاحتقار والازدراء .

ان اكثرهم من الاغنياء..فاليهود يملكون معظم ثروة العالم . ولكن مركب النقص فيهم هو الذي يتكلم ، انهم يريدون دولة ، دولة يهودية ترد اليهم شعورهم وثقتهم في كرامتهم ، انهم

يريدون ان يكون لهم ما لغيرهم من عز وكرامة . وعلى كل حال انني اعترف انه ليس لديهم اي حق في هذه البلاد .

انها اعطتكم مسيحكم ومحمدكم وجميع الانبياء المنزلين .. ولكم حق وأي حق في هذه المرتفعات والحقول .

ووصلت الى هنا ، بعد أن تعلمت وحصلت على الدكتوراه في المحاماة ، الى ان أصبحت من المحامين المعروفين . وفي ذات يوم جاءني ف.س وهو اكبر مثر هنا ، وطلب مني ان أكون وكيله في احدى الدعاوي ، وفي الختام تزوجت ابنته وهو الذي مهد لي الطريق . انها جميلة ، بل اكثر من ذلك ، انها مزيج من الجمال البارد والشهوة الجامحة ، انني لم اقدر حتى اليوم ان افهم نفسيتها .. انها شاذة في جميع اعمالها . وقبلت بي زوجاً وأحببتها حباً جنونياً يقرب من العبادة . وطلبت مني ان اقطع جميع علاقاتي باصدقائي القدماء لأنه لا تجري في عروقهم الدماء الزرقاء ، فهي ارستقراطية في كل خطوة من خطواتها . وتركت أصدقائي وعاداتي وأخلاقي ، وتطبعت بطباع جديدة وباخلاق لا عهد لي بها .

وكنت اقبل على أصحابها واحترمهم ، وكانت تخرج معهم في غيابي ، وتعربد وأنا لا أعترض . وفي ذات يوم عدت من عملي لأن المحاكم كانت معطلة ودخلت الى غرفتها فجأة فرأيتها تضاجع أباها . نعم هو الذي لا يزال يحافظ على جمال رجولته وهو في الخمسين !

وجرب ان يقلب الاشياء .. ولكن عريها الكامل ونومها في سرير واحد .. كل ذلك دفعني الى الاعتقاد .. وأخيراً قال لي : ان « استر » ليست ابنتي ، انني اخذتها طفلة وتعهدت بتربيتها .. وجرب ان يقنعني بجميع الطرق .. ولكن .. لا . لا .. ان الشبه بينها وبين ابيها لا يدع مجالاً للشك . فالقامة واحدة ولون العينين وحتى هذه « الشامة » على رأس الخد .. والانف .. والشفتان .. وفهمت اشياء وأشياء : ان « استر » فقدت اثمن شيء تملكه فتاة قبل ان اتزوجها . ولم اهتم لذلك . ولكني لن ارضى ابداً ان تؤكل الفاكهة المحرمة تحت سقف منزلي . وغداً سوف اضع حداً لذلك .

وضحك بمرارة وقال : الفاكهة المحرمة .. ثم سكت .

ولم اعد اسمع الا صوت السيارة وهديرها وهي تطوي الحقول والبيارات والبساتين ، وكنت ارى الليمون والتفاح على غصون الاشجار . وابتسمت لتسلسل الافكار .. انها فاكهة .. ولكنها ليست محرمة .

★

بوکر ور ولیت

في احدى غرف كازينو مونت كارلو الشهير ، قرأت العبارة التالية :

«الحياة مغامرة .. ومقامرة فلا تبحثوا عن فلسفة مجهولة في عالم مجهول غامض . »

ده ده ده

كان مقامراً منذ صغره ..

انه يذكر جيداً كيف كان « يغش » في الامتحان في مدرسته .. مع العلم انه كان يقبل امكانية منعه من الفحص ..

ولكنه كان يقامر .. نعم فالحياة كلها ورقة لعب ، فإما الآس .. واما الورقة الخاسرة ..

وربح .. ثم خسر .. الى ان وصل الى القسم الثانوي .. وهناك ، خسر الورقة الكبرى لأنهم أمسكوه وهو يغش بامتحانات البكالوريا الرسمية ، قسم الفلسفة ، بعد ان غش وربح في القسم الاول ، ومنعوه من التقدم الى الامتحانات ، فقبل حكم القدر ولم يتأفف .. لانه كان يعلم ان الحياة مغامرة ومقامرة ، وقد ربح بالامس ثم خسر اليوم .

وكان عنده ميل طبيعي الى الرياضيات والاعمال الحسابية المعقدة .. ونظريات الامكانيات ..

وكان دائماً يطالع الكتب التي تتحدث عن الحظ والارقام فيزيد اعتقاده في نظرياته الخاصة منذ كان طفلاً ، وهو أن الذي يخسر اليوم يربح غداً ..

وكان من مشاهير اللاعبين الرياضيين في هذا الوقت ، كان نجم الجامعات في لعبة كرة القدم .. وكثيراً ما شاهدته الفتيات وهو يقذف الكرة بمرونة ومهارة فتدخل الى الهدف بين التصفيق ودقات قلوبهن ..

ولكنه كان يقامر حتى في الرياضة . مما دفع النوادي للاستغناء عن مهارته المشهودة .. كان يخاطر ويقامر بالكرة .. وعندما ترك الجامعة ، لم يتخذ له اي طريق في الحياة ، نظر حوله ، وأخذ يسأل نفسه عن العمل الذي يمكنه ان يقوم به .

هل يدخل الوظيفة .. كلا .. انه يكره النظام ويكره افناء العمر على طاولة صغيرة في احدى الدوائر الحكومية .. ان الوظيفة مهنة عاقة ، وهو لا يريد ان يفني زهرة شبابه على مذبحها .. هل يتاجر .. ولكن من اين له رأس المال ، وقد مات والده منذ سنوات ولم يترك له ولوالدته الا الدار التي يسكنها ، وبعض الدخل الذي لا يكاد يفي بتكاليف الحياة الضرورية .

هل يتزوج ابنة عمه سعاد ويعمل مع عمه في محله التجاري الكبير .. ان عمه غني وهو يحبه .. وسعاد هل تحبه ؟ وابتسم

وأخذ ينظر الى المرآة وهو يفكر بها . ورأى صورته وقد ردها الزجاج اللامع ، صورة شاب جميل جذاب ، بجسمه الرياضي وأسنانه البيضاء وعينيه حيث يمكث سحر الشرق وغموض الشرق وأسرار الشرق المسحور .

نعم ، انها تحبه ، لقد فضحته نظراتها ، فكم رآها تتطلع اليه باسترحام وهي ترتجف عندما تقدم له القهوة . ان التقاليد تمنعها من المصارحة ، وكان فريد يجد لذة كبرى في تعذيبها .

انها غنية ، فهي تعيش في قصر ، وقد جاءت الحرب فأصبح والدها من اصحاب الثروات المعدودة واقتنى السيارات الفاخرة ، وهي ذات جمال متوسط .. ولكن في عينيها حزن عميق ، ألم المرارة واحساس الحرمان ..

لقد كانت تسمع عن شقاوة فريد وهو طفل في المدرسة ، ثم عن غشه ، ثم عن مهارته في الرياضة .. اما الان ، فانها لا تعرف عنه شيئاً منذ سنة ونيف ، انه ترك المدرسة .. فماذا يعمل . وكيف يعيش ومن اين له هذه البذلات الانيقة وربطات العنق الحريرية الفاخرة .

واعترفت في نفسها ان له ذوقاً جذاباً .. انه جنتلمان في كل معنى الكلمة .

نعم ماذا كان يعمل .. وكيف كان يعيش .

انه ينام النهار ويسهر الليل !

كان يسهر الليل في اندية القمار .

نعم . هذا هو سره .. بوكر وروليت . يلعب البوكر مرة

والروليت اخرى ، ومنذ عام وهو يمشي على هذا النظام ، وهو لا يلعب اللعبتين في ليلة واحدة مطلقاً ، فكل يوم يغـير .. ويربح في اكثر الاحيان ومعظمها . بل دائماً .. وكان الحظ يرفرف على اكتفيه ، فالورقة التي في يده هي دائماً الرابحـة .. واذا لعب الاحمر في الروليت جاء الاحمر ..

كان ، والحق يقال ، يلعب بنزاهة وصراحة ، فهو لا يغش مطلقاً ، لأنه يلعب للمقامرة فقط ، وهو يعتقد اعتقاداً راسخاً انه ملك زمامها وفهم اسرارها ..

وكان يحتقر سباق الخيل ولعب البكاره وكل الالعاب الاخرى التي تعتمد على الحظ فقط .. انه يربح في البوكر لأنه عالم كبير في نفسانية اللاعبين ، ولأن قوة اوراقه او ضعفها لا تظهر على وجهه كما عند اللاعبين ، ثم انه يربح في الروليت لأنه عـالم في اسرار الحساب والرياضيات ونظرية الامكانيات . عندما يضع دراهمه على الاسود في الروليت ، يعلم حق العلم ان الاسود هو الذي سوف يربح .. ان الامكانيات تقول له ذلك .

واشترى سيارة فاخرة .. وكان يغدق على والدته الهدايا والعطايا .. وكان يريد ان تنسى ذُل الايام وفقر الليالي التي مرت عليهـا .

وعندما كانت تسأله عن مصدر هذه الأموال ، كان يتكلم عن صفقات كبيرة وهميـة وعن اعمال تجاريـة على المرفأ تستدعي وجوده في الليل عند مجيء البواخر .

وكان كل يوم عند ذهابه ، يقبل يد والدته ويذهب في سيارته

الفخمة وثيابه الانيقة كأنه احد نجوم السينما في هوليوود .

وكان يذهب تواً الى «الزيتونة» حيث اكثر نوادي القمار .

وعرف ابناء «الزيتونة» الشيء الكثير عن سره وعن حظه الكبير .

فقال بعضهم : انه الحظ .. وهو دائماً مع المغفلين .

وقال فريق آخر . لا شك ان عنده سراً في لعبه .. تعلمه من احد سحرة الهند ، وكان يسمع ذلك ، ويبتسم باحتقار .

انه يربح ، لأنه ذكي ، ولهذا السبب فقط .. وكثيراً ما كان يرى الانوار تلمع على هذه البقعة من الارض ، حيث جميع انواع نساء العالم : الالمانيات والاميركيات والفرنسيات والرومانيات والهنغاريات .

هنا «الكيت كات» و «الكولورادو» و «الليدو» حيث اجمل النساء والاجسام العارية .. ولم يدخل مطلقاً ، حتى ولم تحدثه نفسه بالدخول .. لماذا ؟

لقد كان يحتقر النساء ، و يرى فيهن دمى خفيفة لا تصلح لشيء .

وكثيراً ما نظرت اليه احداهن باصرار وهي تعجب برجولته الناعمة وجماله ، ولكنه كان يتجاهلها تماماً ويبتعد عنها كما يبتعد عن الافاعي السامة .

وكثيراً ما كان يسمع عن المآسي التي تحدث في الزيتونة حيث النساء والرصاص والدماء والضحايا .. فكان يبتسم في سره ويتساءل لماذا اطلقوا عليها اسم الزيتونة وغصن الزيتون هو رمز السلام .. وراح يبحث لها عن اسم آخر يناسب النساء والخمر والدماء ، فلم يهتد .

وكانت هذه هي المرة الاولى التي يفكر فيها بالزيتونة وأهالي الزيتونة .

وكان فريد .. عندما يسمع الناس تتحدث عن حظه الهائل باللعب .. يبتسم .. ثم لا تلبث الابتسامة ان تتلاشى .. نعم .. انه لا يؤمن بالحظ .. ولكن .. وهنا السر الفظيع .. السر الغامض الذي يعتقد به ويخفيه حتى عن نفسه .. لماذا يعطي كل يوم ليرة لهذا الضرير الاعمى الذي يقف على مفترق الشارع الكبير المؤدي الى جادة الفرنسيين .. وكان هذا الضرير المسكين .. يقف هنا .. دائماً . في حر الصيف وبرد ليالي الشتاء القاسية .. ينتظر حسنة المارين .. وهو يردد بصوت تعب .. اضناه الفقر والمرض والبرد ودوران الايام والليالي . « من مال الله .. يا محسنين .. ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره .. احسنوا الى هذا الاعمى الضرير العاجز » .

وكان يعلم خطوات فريد، وصوت سيارته في الساعة الحادية عشر ليلاً .. فيعطيه الليرة وهو يقول مساء الخير .. فيأخذها وهو يدعو له بالتوفيق وطول العمر .. ثم يذهب الى غرفته الحقيرة وقد اكتفى بعطايا المحسنين وكل اتكاله على فريد .

وقد مضى على فريد سنتان وهو يعطي هذا الفقير ليرة كل يوم .. وكان يربح ويربح .

وكان يشعر بخوف قبل ان يصل الى الضرير .. كان يخاف الا يجده .. لانه كان يعتقد اعتقاداً غامضاً داخلياً ان حظه يكمن تحت هاتين العينين المطبقتين .

ولكن سرعان ما كان خوفه يذهب عندما يسمع صوته :
– من مال الله يا محسنين !

ومرت الايام وفريد يربح .. ويربح .. وكانت والدته تطلب منه ان يزور بيت عمه .. فكان يتهرب لأنه ينام النهار بطوله .. ثم لا يريد ان يراهم .. وكانت والدته تؤنبه بنعومة وهي ترى في سعاد الزوجة المنشودة .

وفي ذات يوم .. اراد ان يشاهد فيلماً في الساعة السادسة .. وعند باب سينما «دنيا» رأى سعاد ومعها صديقاتها .. وركضت اليه بلهفة وهي تسأله عن حاله .. وعرفته على صديقاتها .. وجلسوا معاً في احد الالواج .

وكانت تحدثه عن كل شيء وتذكره بأيام الصبا وعهد الطفولة . وفي الختام قالت له انه قد طلب يدها (...) التاجر المعروف . وان والدها قد وافق مبدئياً وأما هي .. وفهم منها انها تنتظر كلمة واحدة من شفتيه كي ترفضه .. تنتظر وعداً صغيراً يدخل السعادة الى قلبها .. ولكن فريد على العكس افهمها انه يجب ان تقبل .. وتمنى لها كل السعادة ..

وشعر ببعض الحزن وهو يقود سيارته الى النادي . وتذكر نظرة سعاد اليه في ظلمة الصالة والحزن يلمع في عينيها الفاترتين .

ولكن .. ان الله لم يخلقه كي يتزوج .. ان الزواج خلق لغيره . وهل بامكانه ان يتحمل الحياة بطولها امام امرأة تنتظره وينتظرها .

وفي ذات يوم .. رآها .. فتاة العمر .. وكانت تلعب

الروليت وتقذف بالاموال الطائلة باحتقار كلي وهي تدخن سيجارة وتنفث دخانها بدون اي اكتراث .

وكانت جميلة الى درجة هائلة .. جمال صاعق مخيف ، الجمال الكامل الذي تتحدث عنه الكتب والاساطير .. وسأل عنها .. فقيل له انها احدى بنات الذوات من قطر شقيق ورثت الملايين وقد خسرت معظمها على موائد القمار .

وكانت تذكره بكل شيء بديع كامل .. لقد كان فريد شاعراً في قرارة نفسه .. يرى الجمال في الطبيعة الغامضة .. وكان اسمها قصيدة بذاتها تذكره بكل ما في صاحبته من معاني الكمال والجمال .. آمال .. انها زهرة يانعة رسمتها الطبيعة بعد ان اعطتها من الشمس حرارتها ومن السماء صفاءها ومن الليالي غموضها ومن الجبال كبرياءها ومن اعماق البحار لون عينيها الاخضر الفاتر .

ورآها في اليوم الثاني والثالث وكانت تخسر باستمرار ، كأن الاقدار رسمت خسارتها حسب خطة متبعة .. وكان هو يربح باستمرار .

وكان يضع المئات على الاسود ، فتضع هي الالوف على الاحمر .. وكانت تخسر ، وكان يربح .. كان يلعب الرقم واحد ، فتلعب هي آخر رقم .. فتخسر ويربح .

ومر شهر وشهران ، وهو لم يكلمها ، ولكنه كان يفكر بها دائماً .. لقد اصبحت شغله الشاغل .

وأخذ يحلل نفسه تحليلاً دقيقاً على ضوء تجاربه ونظرياته الحسابية ، الى ان اعترف بأنه يحبها .

وارتجف عندما اعلن ذلك لنفسه .

نعم .. ارتجف من الخوف اللذيذ وقد شعر بقوة هـذا الاحساس الجبار الذي غمره بكليته وألقاه في بحر من الغموض لا يعرف اي يبدأ وأين ينتهي .

وفي ذات يوم قال لها عند باب النادي .

– انك تلعبين بجنون .

– انني مجنونة .. فشكراً .

– ليس هذا قصدي .. ولكن ..

– وهل تعتقد ان اللعب يعرف العقل .. انه الحظ . وانت محظوظ .. اما انا ..

– انني اقدر ان أبرهن لك ان اللعب فن وذكاء .

– مسكين ..

وخسرت ثروتها .. وذهبت الى الفندق وهي لا تبالي .. وجلست على الشرفة امام البحر تتساءل وهي تنظر الى اعماقه عن سر هذه الحياة ومغزاها .

ان الحياة لا معنى لها ..

وفجأة شعرت بشعور غامض لذيذ . نعم .. انها تحب الحياة لانها تحب ، وهذه هي المرة الاولى التي تشعر بهذا الاحساس .

وقامت تريد العودة الى النادي وعند باب الفندق ، رأته يصعد فركضت اليه .. ومنذ ذلك اليوم ، وهي تنتظره ساهرة على الشرفة بينما هو يلعب ويربح .

وأرادت منه ان يسافر معها .. فكان يطلب منها الانتظار .

لقد اصبح مريضاً .. ان اللعب هو كل شيء عنده . كانت تشعر انه يحبها حباً كلياً .. ولكنها كانت تعلم ان القمار هو هدفه الاول .

.. وترجل من سيارته يبحث عن الضرير ، فلم يجده ، فأخذ يبحث عنه .. بحث في كل مكان ولكن عبثاً .

وذهب الى النادي بعد تأخير ساعة وهو ينتظر مجيء الاعمى ، ولكن هذا لم يأت .

ولعب ، وخسر .. ومر الليل ، واذ به يخسر مبلغاً ضخماً.

ودهش الحاضرون من الحظ كيف ينقلب بعد اطاعة سنوات.

وذهب الى الفندق .. ورأته .. وفهمت .

وفي اليوم الثاني ، بحث عن الاعمى ، فلم يجده .. فخسر ايضاً .

وانقلبت حياته ..واخذ يحلم بأوراق اللعب وأرقام الروليت وهو يتقلب على فراش الارق ..وفقد ثقته بنفسه هذه الثقة التي اوصلته الى الاوج وجعلته من مشاهير الرجال .

وكانت آمال تراه يتغير .

واصبح لا يعنى بمظهره الخارجي مطلقاً ..وفي النهار كان يدور في الشوارع ويلف ، عله يهتدي الى هذا الضرير الملعون .

وكان يصب عليه اللعنات الكثيرة والشتائم ، ولكن عبثاً .. وسأل عنه الشرطة وأصحاب المحلات القريبة من مركزه . وبحث في الاحياء الفقيرة المسكينة .. ولكنه تبخر ولم يجد له أثراً .. وفي هذا الوقت كان يخسر بانتظام كلي .

كانت كل ورقة يأخذها هى الخاسرة. وكان كل رقم ينتقيه هو الرقم المنحوس .

وباع السيارة .. ثم بعض الاشياء الفاخرة والجوهرات .. ثم ابتدأ يأخذ ما قد اعطاه لوالدته ..

ثم اخذ المجوهرات من آمال ..

وباع كل شيء ، وفقد كل شيء ..

واعتقدت آمال المسكينة انها هي التي جلبت له سوء الحظ هذا ، وفي ليلة ليلاء سافرت الى بلادها بعد ان كتبت له كتاباً رقيقاً تقول فيه انها تنتظره اذا اراد .

ولكنه لم يكترث لذهابها .

وعلمت امه بعد هذا الوقت الطويل بسره ،فحزنت كثيراً ، وما لبثت ان مرضت ثم ماتت حزناً على حالة ابنها الذي اصبح يهذي كالمجانين .

***

وباع البيت..وقبض الثمن،وكله من فئة الاوراق الكبيرة.. وفي الساعة الحادية عشرة كان ينزل الى النادي .. وارتجف قلبه. ماذا .. انه صوت . صوت الاعمى .. نعم ..هذا هو..واقترب منه ، واخذ يؤنبه ، وسأله اين كان ثم بحث في جيوبه ، فلم يجد

الليرة المعهودة ، وكانت اصغر قطعة هي قطعة المائة ليرة ، فأخذها ووضعها في يد الضرير ثم انصرف الى النادي .

وكان يوم الروليت ، فلعب ، وخسر . خسر ثمن البيت كله ، واراد ان يقترض مائة ليرة ، لانه يريد ان يضعها على الرقم ١٣ ، واذا جاء الرقم ، يقبض المائة مضروبة بستة وثلاثين ، ولكن لم يجبه احد الى طلبه ، وتذكر بمرارة كم اعطى وكم وزع الاموال على هذه الطاولة .

وفجأة قال الصوت :

– ربح الرقم ١٣ ..

وخرج فريد وهو يهذي كالمجانين وصعد تواً الى الروشة ، والقى بنفسه من اعلى الصخرة الكبيرة وهو يرى وجه سعاد وآمال وارقاماً كثيرة حمراء وسوداء .

وطافت جثته على وجه البحر ، الى ان التقت بجثة ثانية ، جثة ضرير هرم ضرب على رأسه بآلة حادة وقد اطبق اصابع يده اليمنى بشدة على ورقة مائة ليرة . جثة قذفتها الامواج على الزيتونة .

وكانت رياح الليل الباردة تردد مع امواج البحر ان الحياة مغامرة ومقامرة فلا تبحث ايها الانسان عن فلسفة مجهولة في عالم غامض .



الكَف الخشبيّة

« لقد بحثت كثيراً عن صديق وفي في هذا العالم الساحر فلم اجد غير الالم فهو اوفى الاوفياء »

– شابنهور –

●

عندما يصل عقرب الساعة الصغير الى الواحـدة .. تنـام بيروت وينام الليل وتنام الطبيعة .

وعندئذ فقط..يستيقظ حي من احياء هذه المدينة المترامية بتراخ ودلال على شاطىء البحر المتوسط الازرق .

هذه المدينة التي ما زالت تحتار بين القديم والجديـد ، بـين الشرق والغرب ، بين روحانية المشرق ومادية المغرب .

ونام سكان هذه المدينة وهم يتقلبون على فرشهم الساخنة .. وسهد اكثرهم قلقاً يحلم بالآمال وبالاماني العذاب .. ويستطلع المستقبل المجهول وهو يخشى سوء المصير .

وابتدأت الاضـواء تغيب على نوافـذ البيوت .. الا البعض القليل .

ومن يدري لعله شاعر يستلهم سكون الليل ونسيم الظلام..

أو لعله مغامر افاق يدبر مؤامرة سوف تصل به الى الثروة والجاه او تلقي به مكبلا في غياهب السجون .

ونظر الحشاش الى الدخان الاسمر المتصاعد من هــذه القصة السحرية .. وهو يظن نفسه من السلاطين .. ونام النــاس .. ونامت المدينة .

وهناك على يمين السراي الصغير .. ابتدأت الحيــاة تدب في هذه الاروقة والاعشاش وابتدأت الانوار تلمع وكأنها المناريهدي التائهين في بحر الخطايا ولجج المعاصي الغامضة .. لا تخف ايهـــا القارىء ولا تخجل .. وتسلح قليلا بالشجاعة الادبية الـكافية .. نعم .. سوف اصطحبك الى هناك .. الى هــذا الوكر الذي لا يعيش الا في الليــــل حيث القى القدر بكل تلـــك التعسات المسكينات .. حصدهن من سهول لبنان وجباله .. بين الاشجار والصخور .. من على الروابي الخضراء والجبــــال المورقــة . . وقادهم الى ..

هنا .. حيث الحب ذو التعريفة كما قال « فرنسيس كاركو » .

الحب الذي اباحته حكومات العالم وتبنته وجعلته مصلحة من مصالحها .

ادخل معي ايها القارىء .. ولا تخف .. ان اعين الرقباء قد نامت .

هل ترى هذه الكف الخشبية في اعلى الباب .. انها «الخموسة» كما يسمونها .. هذه تبعد الشر والاذى وتحفظ مــن العين الـتي التي تجلب المصائب .

انها فوق كل بيت .

مسكينة هي نزيلة هذه البيوت، انهاتعتقدبكل شيء، فالسحر والشعوذة وسوء الطالع ، كل ذلك يصبح من معتقداتها عندما تتخطى ابواب المدينة المرحة .

وكل النساء هناك يعشن بأمل التوبة .. وما هي التوبة ؟.

هي ان تلتقي بابن الحلال الذي سوف ينقذها من هذا الجحيم الذي لا يطاق .. حيث ظلم المراقبين وظلم صاحبات البيوت وزوار البيوت

ادخل معي ايها القارىء الى هذا البيت حيث تسكن عائدة .

هل تراها .

يا الهي ما هذا الجمال الحزين .

ورأتني عائدة ، فقامت من مكانها بسرعة وهي تضحك بفرح. مسكينة .. انها تنسى آلامها عندما تشاهدني .

اني بثرثرتي لها .. اسكت هذا الالم الذي لا يزال يحز في صدرها منذ عام .

وكنت انظر اليها ورائحة البخور تدخل الى صدري . والبخور عادة في هذه المحلات لانه يطرد الروح الشريرة .

عائدة وقصتها .

انها قصة كل فتاة زلت في لبنان وفي الشرق وفي العالم .

كانت تسكن مع اهلها في اعالي القرى ورؤوس الجبال . . بين عطف والدها وحنان امها وحب اخوتها .

وتفتحت كما تتفتح ازهار الربيع .
وبلغت الرابعة عشر من عمرها واطلت على الحياة كما يطل قمر نصف الشهر من وراء جبل صنين في ليلة صافية باردة .
كانت فاتنة ، فاتنة حقاً .. وكانت تتعلم في مدرسة القرية ، وهي تضحك للطبيعة والطبيعة تضحك لها .
فلقد احبتها الزهور والطيور ونجوم السماء .
وكانت تسير بالقرية بامتشاق جسدها وبروز محاسنهــا ولون عينيها الغامض، هاتين العينين اللتين سحرتا كل من رآهما ولو من بعيد ، من وراء سنابل القمح وغصون الاشجار .
وفي ذات يوم ، جــاء صاحب الدار والارض . . السيد . . « البك » ورأى تلك الجوهرة المدفونة ، فبرقت عيناه ومرت الشهوة على مرآة نظراته .
وعاد بعد يومين ، وفي يده الهدايا .. وعاد .. وعاد ..
وفهم الاب ، وبكى بحسرة وحرقة .
وفي ذات يوم قال السيد :
— اريد زهرة ،وهذا اسمها في بيت ابيها ، انني اعطف عليها كابنتي تماماً . كلا ، لست اريدهــا كخادمة ، بل كناظرة في البيت تتعلم وتناظر الخدم .
ورضى الاب بذل ، بعد ان شجعته امرأته .
وذهبت زهرة الى المدينة بعد ان ودعت ابن عمها الحبيب .
وفي هذه الليلة رأى القمر ابن عمها يقطف قبلة من خــدها الوردي فضحك مبتهجاً لهذا الحب العذري العفيف .

ومر الاسبوع الاول ثم الثاني ثم ..

واخذ يغدق عليها الهدايا ، واغرقها في بحر من الحياة لا تعرفه .

وتغير عليها الجو .

وداخت ، وعودها الشرب ومباهج الحياة .

وسارت في تيار هذا العالم .

وفي ليلة ليلاء فقدت « زهرة » زهرة الطهر والعفاف واصبحت عشيقته .

ومرت الايام ، وتغيرت المعاملة وكانت لا تذهب الى القرية الا نادراً ثم اصبحت لا تذهب مطلقاً .

وابتدأت ايام الذل .

كان لا يكلمها الا في الليل ، عندما تعصف به رياح الشهوات .

وفي ذات يوم دخلت فتاة جديدة في ربيع الحياة ، واحتلت المكان الذي تربعت عليه « زهرة » مدة عام او اكثر .

وعرف ابن عمها الحبيب فهجر هذه البلاد الى افريقيا .

واسودت الدنيا في وجه زهرة..وأصبح سيدها يتضايق منها .

وعادت .. عادت الي بيتها في ليلة ممطرة عاصفة .. فرأت الازهار ذابلة والاشجار تعصف بها الزوابع .

ورأت قسماً من البيت قد تهدم وشاهدت اباها المسكين اعمى في زاوية الغرفة يسيل عليه المطر من النافذة المكسورة .

وامها قد اصابها فالج ذهب بالبقية الباقية من عقلها .

واما اخواتها . فقد هجرن القرية سعياً وراء الرزق

والحياة .

وشعر بها والدها .. فبكى وقال وهو يشهق :

– لماذا عدت يازهرة ..منذ ذهابك والمصائب تنصب علينا.. حتى ان السيد قد طردنا منذ شهر ونحن نبحث ، ونبحث .

اذهبي يا زهرة .. ارحلي بسلام والله وحده هو الذي سوف ينتقم من هذا الجبار الظالم .

وذهبت زهرة .. الى اين ؟.

عادت الى بيروت .. وبحثت طويلاً عن عمل شريف ولكن هل تجد الفتاة الجميلة عملاً شريفاً ؟

وضغط عليها الفقر والجوع والمرض .. فزلت قدمها مرة وثانية .. وثالثة ، ورابعة .

وتعودت على هذا الشيء .

ثم انتقلت من الحب في السوق الاسود الى الحب في السوق الابيض .

واصبحت من رعايا الحب المباح ومن ساكنات الحي المظلم .

هذه هي قصة زهرة .. التي اصبحت « عائدة »

فتاة كان مكتوباً لها ان تعيش مع الطبيعة وعلى رؤوس

الجبال تبادل زوجها الحب والاخلاص .. وتضحك للزهور والاشجار والطيور .

فحاربتها الاقدار ، ورمت بها حيث الكف الخشبية فوق أبواب المنازل .

انها مأساة ، صغيرة عادية ، ولكن عندما تنظر ايها القارىء

في عيني عائدة ، هاتين العينين الفاترتين الساحرتين الحزينتين ، ترى كل ما في الدنيا من مصائب ومآسٍ وآلام .

وخرجت وانا تائه .. بعد ان كفكفت قليلاً من دموع هذه المسكينة ، التي لم افكر بها يوماً كامرأة تهب المتعة واللذة .

وارتديت معطفي وانا ارتجف من شدة البرد .. بينما صوت عبد الوهاب على اسطوانة قديمة مجروحة يردد بصوت انهكته الايام واضناه دوران الليالي .

« امانة يا ليل تقول للفجر يستنى » ...

الشهوة تقود العالم

القصة التي كانت سبب مجد وشهرة الكاتب الفرنسي
الكبير موريس ديكوبرا وقد ترجمت الى سبع
عشرة لغـــة ـ اقتباس وتلخيص »

●

فرت ناديا من جحيم روسيا الحمراء مع الذين فروا ، بعد ان قتل الشيوعيون امها واباها ،والتجأت الى المجر ، واخذت تبحث عن عمل ، ولكن بدون جدوى ، انها جميلة ، جميلة جداً وجذابة ولهذا السبب لم تتمكن ان تجد عملاً .

واصبحت راقصة في كباريه مع انها لاتحسن الرقص ،ولكنها كانت تكتفي بالصعود الى المرسح وتخلع ثيابها قطعة قطعة امام اعين الناظرين ، الى ان تصبح عارية تماماً . وكان جمال جسدها الحيواني والشهوة التي تتصاعد من كل جزء من اجزائه كفيلة بأن تسد النقص الفني .

وكانت الزبائن تحوم حولها كما تحوم الفراش حـــول المصباح المحترق ، وكانت تحتقرهم ، ولكنها كانت تسايرهم .

واذا قيس جمال ناديا بمقاييس الجمال المعروفة ، لما حازت ناديا على شيء منه ، فالشفتان غليظتان ممتلئتان ، والانف له حدبة ، والعينان صغيرتان ، والردفان بارزان ، والجسد ممتلىء ، والجبهة ضيقة ، ولكنها كانت تمثل الشهوة الحمراء الفاسقة .

وامتدت الثورة الى بلاد المجر فهربت ناديا الى تركيا . وهناك في انقره ، ثم في استنبول ، لم تتمكن من العمل في الكباريهات ، فعملت في الحب المباح في السوق الابيض الذي تبنته الحكومات وجعلته مصلحة من مصالحها .

وكانت تنتظر على مضض ، وتلعن الاقدار وتشتم الطبيعة التي تحاربها .

ومرت سنة ، وتركت تركيا قادمة الى فرنسا ، وحلت في باريس .

وكانت تسكن في فندق بسيط وهي تعيش من الدراهم التي اقتصدتها في تركيا .

وراحت تفكر ، ماذ يخفي لها المستقبل العظيم .

واستعانت باعلانات الصحف ، ومر اسبوع ، وهاهي تعمل كوصيفة لكونتس عجوز تملك ثروة طائلة وتعيش في قصر كبير في ضواحي باريس

وتحلت ناديا بأخلاق جديدة ، اخلاق عالية وصفات حميدة ، واصبحت العجوز تحبها كابنتها ، وكانت العجوز تعتقد ان ناديا تحبها بينما هي تكرهها وتحسدها .

ومرت الايام ، وعرفت ناديا ان للعجوز ابناً يدعى بيار وهو مريض في السل يستشفي في جبال سويسرا ، وكان يرسل اخباره

الى امه بانتظام ، وآخر هذه الاخبار يعلمها بأنه سوف يصل بعد شهر ، اذ ان الاطباء سمحوا له بذلك .

وسرت الام المسكينة التي كانت تحب ولدها حباً لامثيل له.

امـا ناديا ، فانها كانت تعد العدة للمستقبل ، وراحت تسأل خدم القصر عن أخلاق الغائب وصفاته .

وفي ليلة ليلاء كانت تفكر بحظها السيء وبهذه الطبيعة العاقة التي لا تزال تحاربها ، انها تريد ان تسعدها كما تسعد سائر النساء . ان الرجال يشتهونها ، ويضحون كل شيء في سبيلها، لقد شاهدتهم ورأت ضعفهم امام جاذبيتها الجنسية القوية المخيفة .

وفجأة قامت من فراشها ، ووقفت امام المرآة ، واخذت تخلع ثيابها بسرعة جنونية ، الى ان اصبحت عارية .

فقالت وهي تبتسم ابتسامة الانتقام :

هل يستطيع بيار مقاومة كل هذه الكنوز ؟

ووصل بيار ، وكان شاباً نحيلا انهكه المرض، اشقر الشعر، طويل القامة ، جميل الملامح ، وكان يمكث في غرفته لايبارحها. وقد طلب من والدته ان لا ترسل له ناديا مطلقاً لأنه يشعر نحوها بكره ونقت شديدين .. انه يتضايق من حضورها كثيراً .

ومرت الايام ، وناديا تكاد تموت من الغيظ ..

وعلمت انه يمضي السهرات في غرفة المكتبة يقرأ حتى ساعة متأخرة من الليل .

وفي احدى ، الليالي ، وفي ساعة متأخرة ، سمع بيار طرقاً خفيفاً على باب المكتبة ثم دخلت ناديا وهي تقول انهـــا مصابة

بالارق ولم تتمكن من النوم فهي تريد كتاباً تتلهى بقراءته. فأشار بيار الى رفوف الكتب دون اي اكتراث وهو جالس على الكرسي في آخر الغرفة .

واخذت ناديا السلم واسندته الى الحائط ، ثم صعدت تبحث بين الكتب ، وكانت ، بفعل وقفتها تدير ظهرها الى بيار .

وفجأة رفع هذا الأخير رأسه عن كتابه. ان طرف التنورة القصيرة السوداء التي ترتديها ناديا قد علق بخشبة السلم ، وظهر فخذاها حتى اعلى الخصر

وعاد يقرأ ، وهو يقاوم نفسه كي لا ينظر ، وسمعها تصعد درجة اخرى ، فنظر .

وكان ينظر كالمشدوه المسحور.. انه لم يتصور مطلقاً ان تقاطيع جسم ناديا تبلغ هذه الدرجة من الجمال المثير .

وكانت اصابعه تشد على الكتاب بعصبية هائلة ، وشعرت ناديا بهذه النظرات المحمومة النارية تخترق ظهرها ، فقالت في نفسها إنه رأى ما فيه الكفاية لهذا اليوم .. ونزلت ثم خرجت وبيدها كتاب دون ان تنظر الى بيار او تكلمه .

وفي الصباح ، تجاهلته تماماً كما كان يتجاهلها. وجاء الليل وفي نفس ساعة البارحة ، دخلت ناديا الى غرفة المكتبة ، ولحظت ان الكرسي أصبح في وسط الغرفة بعد ان كان في آخرها .

وارتسمت على شفتيها ابتسامة الانتصار .

انه يريد ان يكون قريباً اكثر من الأمس ، انه يريد ان يمتع نظره بمرآى الكنوز العارية .

وقفزت الى السلم بخفة ورشاقة .. ورأى .. رأى اكثر مما رأى في اليوم الماضي .

نظرت ناديا اليه ، وامعنت في نظراته المحمومة ،انه يضطرب ويصفر لونه .

وخرجت ، وفي النهار ، لم تنظر اليه مطلقاً . ورأى ذلك منها ، فتجاهلها كما كان يفعل في السابق، ولكنه لعن نفسه لأنه يفكر بها . ودخل على امه واخذ يقبلها ويحدثها وحاول ان يطلب منها طرد هذه الفتاة الفاسقة .. ولكنه وقف متردداً ، وبينما هو يكلم امه ، دخلت ناديا وهي ترتدي شورتاً قصيراً حريرياً يظهر جمال فخذيها .

ـ ادخلي يا ابنتي ، تعالي ، تعالي قبليني .

انت لا تعرفها جيداً يا بيار ، انها كنز ، انني احبها كابنتي ، لن اجد مطلقاً احداً في اخلاصها ووفائها . لقد طلبت منها ان تخرج للنزهة قليلاً لانها تكاد لا تترك البيت .

وانحنت ناديا على العجوز تقبلها ، فلامس ساقها ساق بيار فابتعد كمن لسعته افعى .

ورأى نفسه ينظر اليها بقوة غاضبة ،وتعجب من لون بشرتها الابيض الناصع ، مع ان شعرها اسود فاحم .

لقد كان لونها كلون تلك النساء صاحبات الشعر الاحمر ، ابيض غارقاً في البياض .

وغادر الغرفة .

صعب عليه ان يترك القصر ،لقد حذره الاطباء . يجب ان

يبتعد عن النساء ولا يقترب منهن بتاتاً ، والا فالموت ينتظره .

وفي المساء ، دخلت الى غرفة المكتبة . وكان الكرسي ، وبيار مستلق عليه ، تحت رفوف الكتب مباشرة .

وكادت ان تضحك بصوت مرتفع ، بل ان تقهقه لـلذة الانتصار ، ولكنها صمتت .

ووضعت السلم ، وصعدت .

وخرجت كالبارحة دون ان تكلمه .

ومضى يوم ثم الثاني ثم الثالث واشتدت حرب الاغـــراء . واصبح بيار اينما ذهب لا يرى الا جسم ناديا العاري الذي يتحداه ، وبينما والدته المريضة في فراشها لا تشعر بشيء ، ولا تشعر بمعركة الحياة والموت ، بمعركة الفناء التي شهرتها ابنة الشياطين .

وقاوم بيار ، وقاوم ، واعتلت صحته ، وفي ذات يوم طرق باب غرفتها ، وكان الوقت ليلاً ، والعواصف في الخـــارج تـكاد تقتلع القصر واشجار الحديقة الكبيرة .

وكانت في ثيابها الحريرية الداخلية الشفافة القصيرة الـتي لا تستر شيئاً وهي بلون البرتقال.. ونظرت اليه منتصرة ثم استلقت على فراشها .

ولم يفق الا عند الصبح وهو لا يصدق ان الله يخلـق امرأة كهذه .. انها خلقت للغرام ، وللغرام فقط .

وغرق في بحر الشهوة الاحمر ..

ومرت الايام ، واصبح عبداً لجسد ناديا يعبده خاشعاً في كل ساعات النهار . كانت حياته تذوب رويداً رويـــداً كي تضيء

هذا الجسد المنتصر .

واصبح كالخيال . وشعر خدم القصر بالمـــأساة الدامية ، فأخذوا يتهامسون .

ودخلت الأم المريضة في منتصف احدى الليالي الى غرفــة ولدها ، فلم تجده . فبحثت عنه ولكن عبثاً . وطرقت باب ناديا ، فسمعت ضحكاً واصوات قبل ورنين كؤوس ، ودخلت كالمجنونة ، ورأت ابنها كعود الشجر في ايام الشتاء ملقى في السرير وعظام جسمه ظاهرة واضحة وقد ذاب كل ما عليه من لحم ، بيــنما ناديا عارية ترقص امامه رقصة إلهة الحب .

وجن جنون الام ، اما ناديا فلقد نظرت اليها متحدية ، بينما بيار كان يهذي هذيان السكارى .

وتكلمت الأم ، ولكن ناديا قاطعتهــا ، وافرغت كل مــا في قلبها من حقد وحسد وشهوة وانتقام ، واخذت تشتمها ، وعادت الى اصلها الأول ، ابنة الشوارع والأزقة .

وذهلت الأم ، ثم طلبت من ناديا ان تذهب في الصباح الباكر .

ـ سوف اذهب .. اخرجي انت من غرفتي !.

وعندما اغلق الباب ، تقدمت من بيار وقدمت له شفتيها .

وقالت : هل بوسعك الاستغناء عني وعن جسدي ؟.

ـ انا عبدك واسيرك يا ناديا . انا كلبك الأمين .

وخرجت ناديا من البيت ، وتبعها الخدم بنظرات الشماتة .

وتبعها بيار في اليوم الثاني ، واستقبلته بكل برود ، ورفضت ان تسلمه هذا الجسد العاري الذي يعبده ، وظلت كذلك وهو معها

في الفندق ، يرى قطعة الحـلوى ولا يقدر على مسها ، وكانت تتعرى امامه ثم تدفعه الى غرفته بكل فتور وتغلق بابها على نفسها ،

وقبل في الختام ان يتزوجها ، وقاومت امه المسكينة وارادت نصحه ، ولكنه هدد بالانتحار ، فرضخت ودخلت ناديا دخول القائد الظافر واصبحت الآمرة الناهية والسيدة المطلقة .

وطردت جميع خدم القصر واستبدلتهم بغيرهم ، ومرت ايام واسابيع ، وبيار يقترب من الفناء بسرعة . ان ناديا تكثر من تأدية واجباتها الزوجية الشرعية ، وجاء الاطباء وافهموا الأم .

وارادت ان تضع سرير ابنها في غرفتها ، ولكنـه رفـض باصرار . وجاءت المسكينة وهي ذليلة الى ناديا تطلب منها الكف عن قتل ابنها تحت ستار الزوجية .. كانت تبكي وتتوسل ، وقالت ناديا بقسوة باردة :

ــ ان جسدي هو ملك بيار الخاص وهو يفعل به ما يشاء .

وفي هذه الاثناء كان زوجهـا طريح الفراش ، وكانت هي تخرج للرياضة على فرس جميل ، تذهب تلاقي عشاقها الثلاثة الواحد بعد الآخر ، الضابط اندريه ، والطبيب جان ، وانطوان ، سائق سيارتهـا .

وفي ذات يوم اشتدت الأزمة على بيار ، فجاءت اليه ، وعندما افاق من غيبوبته ، وجد محفظة زوجته امامه ، وقد نسيتها ، ففتحها ووجد بعض الرسائل من عشاقها فقرأها وهو لا يصدق عينيه .

وعندما دخلت واخذ ينظر اليها كالمجنون ، واقتربت منـه

وكان يلهث ، واراد ان يقوم من السرير ولكنها دفعته الى الحائط ، فوقع ولفظ أنفاسه بعد دقائق معدودات .

وجرى المأتم الحافل ، وبقيت ناديا في القصر وهي ترتب أمورها لانه كان قد ترك لها كل ثروته تحت تأثير الاغراء .

وصعدت في احد الايام الى سطح القصر العالي ، وهي تريد ان ترى بعين الحقيقة اتساع املاكها وتضحك من الطبيعة التي حاربتها ، عندما تبعتها الأم المسكينة .. ووقفت في وجهها .

— انت قتلت ابني .

— اسكتي ايتها العجوز الحمقاء ..

وهجمت الأم عليها ودفعتها ، هي العجوز المريضة ، وقد استمدت القوة من مأساتها ومصيبتها في ولدها فوقعت ناديا من هذا العلو الشاهق . وعندما وصلت الام اليها مع خدم القصر ، فتحت عينيها ، ونظرت الى الأم نظرة فيها الحقد ، وفيها الاستسلام ، وفيها ذلة الانكسار ، ثم اغمضتهما الى الابد . وفي اليوم الثاني ، نشرت صحف باريس الخبر التالي في محل بارز .

« لم تتمكن الكونتس من تحمل مصيبها في فقدان زوجها الكونت بيار . م فألقت بنفسها من أعلى مكان في القصر وفارقت الحياة على الاثر ونحن نتقدم من الأم المفجوعة بابنها ثم بزوجه ابنها بالتعازي القلبية » .



زوجى .. هل تذهب معى إلى البلاج

« سل رمال الشاطىء البيضاء عن اسرارها .. ثم اعترف
معي ان العالم هو سلسلة فضائح مستورة !.. »
- بتامز وليامز -

— زوجي .. هل تذهب معي الى البلاج !..

— البلاج .. البلاج .. ها قد ابتدأنا .. والعمل يا حبيبتي .. والشغل يا زوجي العزيزة .. ومن أين نأكل .. وماذا اقول لرئيسي في الوظيفة .

— اوه .. دائماً هذه الوظيفة الملعونة ، كأنهم يعطونك الملايين ..

يجب ان نساير الايام يا حبيبتي .. والا جرفنا التيار . وعلى كل حال لماذا كل هذه المصاريف ؟ البلاج .. والسيارات .. لكل اسبوع مايوه جديد ، هذا كثير يا سلمى ..

— لا تكن هكذا .. انت تعرف ان صديقك سامي يدعوني دائماً ويدفع عني .. وعنده سيارة خصوصية حتى ان المايوهات

يدفع ثمنها في اكثر الاحيان .

فضحك الزوج ضحكة صفراء ثم قال : طبيعي ، لأنه هو الذي يمتع انظاره برؤيتها على جسدك الفاتن .

– آه يازوجي الحبيب ، كم اريد ان تكون معي على الرمال كي تشاهد بعينيك نظرات الاعجاب الصارخ من الرجال والحسد المميت من النساء .. يجب ان تعترف ان لزوجتك اجمل جسم في بيروت .

– واجمل وجه ايضاً .

– طبعاً .. طبعاً .. ولكن المهم في ايام الصيف هو الجسد. ان الانظار تبتعد عن الوجه التي ملته طيلة تسعة شهور، وتتحول الى الشيء الذي بقي شهوراً تحت المعاطف والثياب .

– الا تعترفين معي انك تبالغين قليلاً .. البارحة شاهدك بعضهم على طريق الجبل تتعلمين قيادة السياراة وذراع سامي يحيط بخصرك .

– لماذا لا تشتري سيارة وتعلمني انت .. ولماذا لا تسرق من وظيفتك كما يسرق غيرك ويعمر الفيلات ويشتري السيارات . . انك بارد وستبقى طول عمرك بارداً .

– ياجماعة .. ياعالم ، انا احب ان اسرق واحب ان اقبض، ولكن دلوني كيف .. علموني على الطريقة .

– اذهب وتعلم من الاساتذة في هذا الفن .

ثم أدارت ظهرها .. واخذت تخلع ملابس النوم . فبدا هذا الجسد الفاتن حقاً وقد كوته الشمس بنارها ، فاصبح لونه كلون

النحاس المحمر .. ونظر الزوج اليها واقترب منها .. ووضع يده على كتفها العارية .. ثم نهدها ثم هوى على هـــذا الفم المنتفخ يقبله بوله وجنون .

***

– ان البحر لذيذ ياسامي ، لماذا لا تنزل الى الماء .

– وهل تعتقدين ان لي جسم « ابولو » كي اعرضه على اعـين النــاس .. لو خلعت السترة لبدوت كهذا الشخص الذي يضعه المزارعون لطــرد الطيور والعصافير من حدائقهم .

فضحكت ضحكة رنانة وهي في الماء بقدميها العاريتين ثم قالت :

– انك لا تقدر ان تقول ذلك عن زوجي يا سامي ، ان له اجمل قوام رأيته .. ولكنه يهمل نفسه قليلاً .. لأنــــه ابتدأ يسمن . آه يا سامي .. انني اذكره الآن .

اراه بعيني على ملعب كرة القدم بقوامه الرائــع ورجولته الأخاذة . يجري وراء الكرة كالسهم المندفع ولا يتركها الا وهي مستقرة في الهدف .

الله يلعنك يا زوجي الحبيب لقد رحت يومهـا اتعلم جميــع المصطلحات عن الكرة واشاهد المباريات الكثيرة واقرأ الكتب وانا احضر نفسي ليوم يقدمونني اليه .. وكم كانت دهشته عظيمة عندما اقتربت منه عند انتهاء احدى المباريات ، واخذت اكلمه عن اغلاط اللاعبين وسير المباراة .. لقد فتح فاه وهو ينظر اليّ كالمذهول .

آه .. كم احبك يا زوجي اللعين !

ـ والله مسألة . انا اتعذب واتعب نفسي بالمجيء كي اسمعك تتغزلين بزوجك .

ـ وماذا تريد مني ، ان اشتمه ، انه لا يستحق ، انه مسكين .. ولو جمعت عدد خفقات قلبي وانا اشاهده يلعب لكانت دهراً بكامله .

ـ ولكنك تأخذين مالي وانا انفق بسخاء عليك .

ـ وانت .. انك تأخذ اشياء لم تحلم بها ابداً .

ـ هاها .. كل شهر مرتين تتكرمين وتذهبين معي في نزهة .

ـ نزهة تنتهي في بيتك وعلى سريرك .. والله لقد قرفت حياتي .

وقامت من مكانها ، واتجهت نحو الرمال البيضاء الباسمة ، فتبعها وهو لا يحول نظره عن هذا الجسد الذي تبحلق فيه آلاف العيون وفي قلوبهم غصة ، تبعها وهو يسحب قدميه من الرمل بكل صعوبة .

ونامت على الرمال ، واخذت تنظر اليه بتحد .

ـ سلمى ، كوني عاقلة .

ـ اوف .. دعني وشأني لقد سئمتك .

ـ سلمى . سلمى .

وقامت ، فتبعها واتجهت صوب شقتها التي استأجرها هو .

ووقفت تخلع ثياب البحر وهي لا تأبه به .. ورآها عارية .. فهجم ، فأرادت صده .. ولكن عبثاً .

واخذته الدهشة عندما شعر بذراعيها القويتين تشدانه وهي تنظر الى البحر البعيد والرمال الساخنة من خلال النافذة الصغيرة .

لقد كانت تضمه اليها وهي تفكر بزوجها العزيز .

***

خرج الزوج من وظيفته في احدى دوائر الحكومة، ووقف والدهشة مرتسمة على وجهه بأجلى معانيها ، لأنه رأى زوجته تنتظره عند آخر السلم .

واقتربت منه ، وهي تبتسم .

– لماذا انت مندهش،نعم لقد قررت ان لا اذهب الى البلاج الا برفقتك ..وقد طردت سامي..وجئت الى هنا بسيارة اجرة.

– ولكن ليس عندنا سيارة .

– هذا لا يهم .. سوف نأخذ الترام .

– ولكن .

– اصمت .. يجب ان تشاهد صديقاتي زوجي الجميل ..يجب ان يشاهد الرجال جسد زوجي الرياضي الفاتن .

– ولكني لا احب البلاج .

– سوف تحبه اكراماً لزوجتك الصغيرة . تعال معي الى البيت .. سوف احضر لك غداء لذيذاً .

– ولكن كيف .. لقد قلت انك سوف تتناولين غداءك على البلاج كالعادة ..وليس في المنزل اي شيء.. تعالي الى المطعم « سعد » على شاطىء البحر .

– كلا .. كلا .. الى البيت .

ـ ولكنني جائع يا حبيبتي .

ـ الى البيت .

وسار مرغماً ، وهو يفكر .. الهي كيف الخـلاص من هذا المـأزق .

واخذ يصعد الدرج وهو يقدم رجلا ويؤخر اخرى ..وكان العرق يتصبب من جسمه ووجهه .. واخذت زوجته المفتاح من يده المرتجفة .وادارته في الثقب ..ووقفت على العتبةوهيتنظر الى داخل الدار بعينين لا تصدقان ..

ماذا .. هذه هي . صديقتها عائدة..وكانت عارية او تـكاد امام « تعريقة » مرتبة .. ومازات كثيرة فـاخرة .. ووقفت عائدة وهي تحاول ان تستر محاسنها بيديها .. ولكن عبثاً ..

ـ يا خائنة ، يا كلبة ..

ـ سلمى .. ارجوك ..

ـ اسكت انت ايها النذل .تخونني هنا،في منزلي..ياجبان..

ونظرت الى صديقتها . صديقة الطفولة..الشابة المتزوجة.. ورأتها معها في الخيال تشاهد مباريات كرة القدم وتهتف للشاب الرياضي الجميل ..

ومن الطبيعي انها لن تنساه .. والبرهان ..
ودخلت الى غرفتها .. وارتمت على سريرها وهي تبكي ..

انها مجنونة .. كيف تخون هـذا الزوج الذي تتهـافت الفتيات عليه .. واغتنمت عائدة هذه الفرصة فولت هاربة من الفضيحة ودخل هو الى غرفة سلمى واخذ يقبلها .. فشدته اليهـــا وهي تشتمه .. ثم قالت :

– هل تذهب معي الى انبلاج يا حبيبي !.

– الى حيث تشائين يا زوجتي العزيزة ..

وجلسا معاً الى المائدة يلتهمان طعامـاً لذيـذاً اعدته امرأة اخرى لمناسبة غير هـذه .. فما اغرب الحيـاة عندمـا تتلاعب الاقدار ..

الشرق المسحور

كان يقف على المحطة في هذه المدينة الكبرى وهو لا يدري ما يفعل ..

هذه الانوار ، وهذه الحركة الدائمة ، وهذا الضجيج الذي لا ينتهي ..

هذه السيارات التي تمر كالبرق الخاطف .

المسكين .. انه اعتاد السكون والهدوء ..

اين قريته الوادعة ، اين النهر الذي ينساب هادئاً بين الحشيش الاخضر . اين هذا السلام يخيم على اشجار قريته الصغيرة ومساكنها .

انه يأتي الى المدينة لأول مرة في حياته .

لقد سمع كثيراً عنها .. عن النساء العاريات وعن الجميلات الفاتنات اللواتي يهبن الحب لكل طالب ويقدمن اجسادهن ضحايا على مذابح الشهوة الحمراء .

لقد اقتصد طيلة شهور كثيرة كي يأتي الى المدينــــة وينعم بمباهج الحياة ولذتها .

وكانت الساعة التاسعة مساء .. والحركة بلغت اشدها ..

وكان ينظر الى هذه النساء الفاتنات يرحن ويجئن ، يسرحن ويمرحن بأناقتهن الفائقة .. وهو يكاد يلتهمهن بعينيه الجائعتين النهمتين .

وهو يريد أن يتمتع .. ولكنه خجول .. كيف يتقدم . انه لا يجرؤ .

هل يتقدم هكذا ويقول لأول امرأة تمر :

ـ اريدك يا هذه .. فاتبعيني .

كلا .. هذا غير لائق .. ما العمل ، وهو لا يعرف أحداً .. ولا مكاناً .. وفجأة اقترب الترام فأراد الصعود اليه ، ولكنه لم يتمكن ، وبقي على الرصيف وحيداً ينظر اليه بأسف وندم .

وسمع صوتاً خفيفاً يقول :

ـ كم الساعة يا سيدي ؟ .

والتفت ، واذا بفتاة في الثالثة عشرة من عمرها ، تقترب منه .

وقال ولكن بخجل وتلعثم :

ـ الساعة التاسعة .

ـ ان لهجتك تدل على انك غريب عن المدينة .

ـ نعم .. انا من المقاطعة الفلانية .

ونظرت اليه طويلاً ، ثم قالت :

ـ اسمع .. هل تريد ان تتمتع .. هل تريد ان تمضي وقتاً لذيذاً ؟.

فنظر اليها ثم قال :

ـ معك .. انت .. انك ..

– كلا .. كلا .. مع سيدتي .
– وهل هي جميلة ؟
– سوف ترى .. على كل حال . ان لها شرطاً أساسياً .
– وما هو الشرط ؟
– اسمع .. يحدث في احيان كثيرة ان الشباب يشترون لذتهم ومباهجهم بالمال . هم يشترون المرأة في اغلب الاوقات . يتمتعون بها ثم يدفعون الثمن .

وسيدتي هي مثل هذا النوع من الرجال .. أي أنها تحب أن تشتري لذتها بالمال . هي تشتري الرجال بالمال .
– ماذا .. لم افهم .
– اعني انه يجب عليك ان تقبل بعض المال في آخر الليل .
– كلا .. كلا .. انا لا أقبض دراهم من امرأة .
– انت حر يا سيدي .
وتردد برهة .. ثم قال :
– خذيني اليها .

* *

وسارت السيارة طويلاً ، الى ان وصلت الى احد أحياء المدينة الارستقراطية .. فهنا القصور والدور العامرة منثورة على ضفتي النهر الكبير الهادىء

والظلام يخيم على ارجاء المكان والهدوء ينبعث من كل حديقة ، الا بعض أصوات خافته من الموسيقى الناعمة تنساب

رويداً على أجنحة الليل فتصل الى اذن السامع ومعها رائحة هذه القصور الشامخة . ونظر بحسرة الى هذه الشوارع ، وكان الالم يحز في فؤاده حزاً .. لماذا يعيش هو هنالك .. ويعيش الكسالى هنا . لا يعملون عملاً ولا يسدون الى الانسانية معروفاً.

ووقفت السيارة امام قصر جميل ، تحيط به حدائق كبيرة شاسعة . ودخلت الفتاة ، وتبعها . وبعد ان انتظر قليلاً في « صالون » فخم مفروش بأحسن الرياش ، جاءت الخادمة وقالت له :

— تعال ..

ووقف امام باب مغلق .. ونقره نقراً خفيفاً .. فسمع صوتاً موسيقياً عذباً يقول :

— ادخل ..

ودفع الباب برفق .. ودخل . ووقف مسمراً على الباب ينظر ولا يصدق ..

غرفة واسعة فرشت جميعها باللون البرتقالي الخفيف . هذا الدمقس وهذا الحرير ، هذه السجاجيد العجمية وهذه الاطارات الذهبية .. وهذا السرير الواسع العريض .

ثم .. هذه المرأة .

امرأة .. ويا لها من امرأة . استلقت على الفراش بدلال وغنج .

وأخذت تنظر الى القادم بعينين فاترتين ناعستين فيهما لؤم وفيهما تحدٍ .. وفيهما اغراء . وقالت :

— تقدم . ما بالك خائفاً ؟

وتقدم بعد ان اقفل الباب بيدين مرتجفتين .

ورفعت ذراعها العاجي الابيض المرمري .. فسقطت الغلالة الرقيقة التي تظهر محاسن هذا الجسد الفاتن .

كانت تضيء المكان .. كان جمالها صارخاً عاتياً ظالماً .

وكان شعرها ينسدل على كتفيها الجميلتـين ، ويلتف حول نهديها النافرين .

وكانت تمر بيدها على فرو هر اسود كبير .. ترافق بذلك اصوات الموسيقى الخافتة التي تنساب من مكان مجهول .

وقالت : هل عرفت الشرط من الخادمة ؟ .

— نعم .. ولكن يا سيدتي يستحيل .

— انت حر .. اعطني هذه الكأس :

وبعد الكأس الاول ، فقد الرشد والصواب ، وقام الى هذه المرأة الفاتنة .

وكانت ليلة من ليالي العمر الحمراء انتهت عند مطلع الفجر .

وفي الصباح .. عندما اراد الخروج ، اعطته ورقة ماليـة ولما اراد الرفض قالت :

— اذا لم تأخذها لن تراني بعد اليوم .

فأخذها مرغماً .

وقالت : تعال في مثل هذا اليوم ، الخميس .

وخرج من القصر وهو لا يكاد يصدق . في أي بلد هو .. وما هي هذه المرأة التي تهب نفسها وتهب المال أيضاً .

وذهب تواً الى صائغ وجده في آخر الشارع ودهش لرؤيته في هذا المكان ، واشترى حلية ثمينة كلفته اضعاف ما أخذ من المرأة .

ان هذه الهدية هي اقل شيء يمكن تقديمه الى هذه المرأة ..

وعاد الى البيت ، ولما رأته الخادمة قالت :

كلا .. كلا .. لقد قالت لك يوم الخميس ..

ـ نعم .. ولكن اريد ان تقدمي لها هذه الهدية .

ثم قال : تعالي . أريد ان اشتري لك بعض الهدايا أيضاً لأنك كنت السبب في هذه المعرفة .

وذهبت معه الى السوق .. وأخذ يشتري لها بعض الهدايا والحلويات .

وفجأة نظر اليها ، فرآها تبكي .. وعندما سألها عن السبب أخذت تجهش وتنتحب بصوت مرتفع .

ـ اسمعي . لماذا هذا البكاء .. تكلمي .

ـ يظهر عليك يا سيدي انك طيب القلب أكثر من اللازم ، انت ساذج بسيط .

ـ لماذا ؟

ـ ان سيدتي كانت في غنى فاحش ، ولكن الميسر ولعب السباق ذهبا بكل مالها .. وهي اليوم تلعب قماراً ولكنه من

نوع جديد .. انها ترسلني الى السوق كي أصطاد لها الاغنياء الاغراب عن المدينة .. وتعاملهم المعاملة التى رأيتها . وفي ٩٩ بالمئة من الاحوال يكون الجواب هديـة كبيرة ، وهي تعود وتبيعها الى هذا الصائغ الذي رأيته والذي يتعامل معها ، وهي التي أمرته أن يفتح له دكاناً في هذا المكان .. اذهب .. اذهب.. انت ابن حلال وبسيط .

* * *

وسار به القطار الى قريته الوادعة .. وكان ينظر الى الحقول الواسعة ، وهو يحلم .. ويبكي .

ولو وضع احدهم اذنه على باب غرفة هذه الحسناء النارية ، لسمع الحديث التالي بين السيدة والخادمة :

– هل مثلت الدور جيداً ؟

– نعم يا سيدتي !.

– هل بكيت كثيراً ؟

– نعم يا سيدتي .

هل انت موقنة بأنه ذهب ولن يعود مرة اخرى .

– نعم يا سيدتي ..



عند التلال البيضاء

ان هذا الشاب يملك ضربة في يده اليسرى تعد سراً سحرياً .

انه لا يزن اكثر من سبعين كيلو ، ومع ذلـك كان يهزم الابطال اللبنانيين والاجانب وهم في اوزان ثقيلة تقارب المائة .

وقفز اسم ابراهيم عبر حدود لبنان ، وسمع به العرب جميعاً والاجانب .

ولم تتغير اخلاق الطفل الهادىء الوديـع .

انه لا يزال كما هو ، يقرأ صلاته وهو على حلقة الملاكمة ويسلم امره الى الله .

كان المدرب يمنعه من الصيام كي لا يخفف وزنه ، ولكنه كان لا يستمع الى نصائحه بل الى صوت دينه وضميره .

وكانت الحرب ، وعرف لبنان الاميركيين والاستراليين والنيوزيلنديين والانكليز وغيرهم ، وكان ابراهيم يقابل ابطالهم ويهزمهم حاصداً الامجاد والالقاب . لقد تلاكم في ذات مرة مع بطل انكليزي عالمي شهير في سينما ركس وبعد المباراة التي فاز بها ابراهيم قال الانكليزي : ان مكان ابراهيم ليس هنا . انه اكثر من عالمي .

ووصل الى القمة ، وتربع على عرش الحب ، حب اللبنانيين له ولاخلاقه وصفاته .

تعود ابراهيم على الانتصار ، الانتصار بسهولة كلية ، ولم يعرف الشدائد التي تصقل الرجال وتهذبهم . لم يعرف الألم والحرمان في هذه الحياة الرياضية ، لقد كان دائماً فائزاً منتصراً .

لعمري ، انني ابحث اليوم ، وقد مضت هذه الاعوام الطويلة ، عن الاسباب النفسانية التي حولت ابراهيم من طريق الى طريق

الصارخ المثير .. جمالها الذي سلب كثيراً من الرجال عقولهم وإرادتهم وقوتهم .. وقالت وهي تبتسم :

« لقد صدق المعتوه .. انه انتحر مسكين ، كنت اظنه يهوّل » .

وهكذا كان الرثاء .

وقامت الى الهاتف .. وأخذت تتكلم ..

— « هالو » .. ميمي موعدنا مساء للذهاب الى الكولورادو . ان ثوبي هائل وسوف اذهب بعقول جميع الرجال .

هكذا كان الرثاء ، وهكذا غابت هذه الصفحة من حياتها .. كلمة وابتسامة .. حتى انها لم تكلف نفسها عناء ارسال دمعة على ضريح المسكين .

وعادت بها الذكرى الى الوراء .

البرد قارس ، والهواء بارد ينخر الجسم وكأنه الابر .

والتف كل لبناني بمعطفه السميك وهو يسير مع الحائط كي يتقي هذا البرد الذي يهب من على ثلوج صنين المتراكمة .

والسماء تلمع وكأنها المرآة .

وكانت الساعة العاشرة مساء وخرجت عايدة الى شرفة المنزل ، ونظرت الى السماء وقالت :

— ميمي .. نونو .. فوفو .. سوف تكون الشمس عظيمة في الغد .. وسوف نصعد الى جبال صنين للتزحلق. هل توافقون؟

— نوافق .

وفي الصباح كان الطقس جميلاً فعلاً ، فالسماء صافية، والشمس

في الشتاء الماضي ، نشرت الصحف اليوميـة هذا الخبر في مكان مهمل دون أي تعليق :

« وجد رجال الدرك جثة المدعو سليمن . من قرية «ت.» التي تقع عند سفح جبل صنين . والحادثة قضاء وقدر . فلقـد انفجر جفت الصيد بين يديه واطار دماغه . »

ولقد قرأ آلاف القراء هذا الخبر .. فمروا به مرور الكرام كأي خبر عادي يقرأون مثله يوميـاً .. وأخذت الصحيفـة طريقها الى سلة المهملات .

وكانت تقف على شرفة منزلها .. في شارع أرقى وأفخم شوارع المدينة .. حيث لا ضوضاء ولا عويل .. فلقد اصبحت كلمة « ارستقراط » تعني السكون والسكوت والهـدوء فوق ما تعنيه من كبرياء وعجرفة وغطرسة .

وكانت تنفث دخان اللفافة الاميركية وهي تقرأ الصحيفة وقد قرأت الخبر .. ثم رفعت رأسها ونظرت الى الافق البعيد .

ودخلت الى غرفتها ، ووقفت امـــام المرآة تتأمل جمالها

دون ان تخفف من سرعتها . ولكنها دائماً تهبط وتهبط .

ان الناظر لا بد له ان يعجب بمهارتها النادرة بالتزحلق .. ولا غرو في ذلك .. انها تعلمت هذه الرياضة في شامونكس وجبال الالب وجبال سويسرا على ايدي اكبر الاساتذة في هذا الفن .

وكانت تسير كالبرق الخاطف وهي لا تفكر بشيء .. بلى .. انها تلعن هذه البلاد التي لا تهتم بهذه الرياضة .. انها تحب الهبوط .. ولكن كيف السبيل للصعود .. ففي سويسرا كانت تصعد الى اعلى القمم بواسطة الآلات الكهربائية .

وخففت من سرعتها .. ثم وقفت عند شجرة كبيرة من البلوط .. ونظرت وراءها فراعتها المسافة التي اجتازتها .

انها لم تعد ترى الاصحاب .. انها لا ترى إلا هـذا الجبل الابيض الشامخ الذي يكاد يصل الى السماء .

والصعود يتطلب نصف يوم على الأقل وراحت تلعن الثلج والسكي .

وأرسلت نظرها في هذه السهول والمنعطفات .. فرأت في آخر الوادي وعند الطرف الايمن وعلى بعد كيلو مترات كثيرة منزلا قروياً .

واتجهت صوب المكان .. وأخذت تقطع المسافات بسرعة جنونية هائلة .

وكان السكون مخيفاً .. يقطعه صوت الزحافات على الثلج .

ترسل أولى خيوطها مع النسيم البارد .

وجلست عايدة وراء سيارتها البويك الفاخرة، وهي ترتدي ثياب السكي التي تزيدها فتنة على فتنة وجمالاً على جمال وأنوثة على انوثة .. ولا غرو فهي تظهر بروز نهديها وامتشاق جسمها وجمال ساقيها .. وأخذت السيارة تنهب الارض نهباً .. وفيها شابان وشابتان .

وكان الثلج كثيراً متراكماً على الربى والمنعطفات .

ونسيت عايدة كل شيء .. وأخذت تصعد الى القمة بهمة لا تعرف الملل .. انها رياضية ماهرة .. وهي تهوى المخاطر والمصاعب والدماء تجري في عروقها حارة امام كل خطر محدق، اذ تجد لذة ما بعدها لذة في كل مغامرة مخيفة .

ووصلت الى القمة .. فأخذت تستنشق الهواء النقي وهي نشوى .. وكان النسيم يداعب شعرها الجميل .

وبعد نظرة طويلة الى الوادي الممتد والى الآكام والجبال .. ابتدأت تهبط ، وكانت السرعة تزداد بين لحظة واخرى .

انها تريد ان تقف .. ولكن لذة السرعة وجنون السرعة يمنعانها من ذلك .

ان الثلج لذيذ .. وسوف تهبط الى آخر الوادي ولو كان الصعود الى حيث كانت يتطلب الساعات الطويلة .

وكانت تنساب على الجبال البيضاء وكأنها الافعى .. فهي تدور على نفسها ثم تذهب الى الجهة اليمنى ، وفجأة تغير الاتجاه

– لقد اخبرت رفيقي بأنني قد أبقى في هذه القرية .. أو بالاحرى في هذا البيت .

ودخلت .. وتبعها .

وكانت تنظر حولها وهي تبتسم في سرها .. نعم ، انه بيت فقير .. ولكنه نظيف .

وكان الحطب يشتعل في المدفأة ويرسل الحرارة الى عروقها الباردة .

وجلست .. وطلبت منه ان يجلس بقربها .. وكان بين يديها كالطفل الصغير .. ينظر اليها وهو لا يصدق ان العناية الالهية ارسلت اليه هذا الملاك الحي الفاتن .

واخذت تلقي عليه الاسئلة .. انه لا يعرف من الدنيا إلا هذه القرية الصغيرة النائية التي لا تصل اليها السيارات والكهرباء

لقد تعلم بعض الاشياء من خوري القرية ولكن موت والديه اجبره على ترك القراءة والكتابة ليتفرغ الى زرع قطعة الارض التي ورثها .

وكان يدعى سليم .. نعم .. انه يعرف بيروت .. ولكنه لم يزرها الا مرتين .

وكانت تبتسم لهذه السذاجة .

وأخذت تقص عليه مغامراتها العديدة وحياتها في عواصم العالم .. وكانت تجد لذة كبيرة في ذلك .. بينما هو ينكمش على نفسه ويشعر بحقارته وصغر شأنه ..

ومرت ربع ساعة ، ثم نصف ساعة .. ثم ساعة .. وأخذ المنزل الصغير يكبر ويكبر ، ووقفت على بعد متر منه..وقالت وهي تلتقط انفاسها :

– هالو .

ولم يرد عليها الا الصدى الذي اخذ يتجاوب من قمة الى اخرى .

وأعادت الكرة : هالو .. هالو .

وفجأة ، فتح الباب .. ووقف شاب طويل القامة ينظر اليها مستغرباً .

وتقدمت منه .. وأفهمته القصة ، فقال بلهجته الجميلة القوية النبرات :

– الصعود الى حيث كنت يتطلب يوماً أو أكثر ، والليل اصبح قريباً .

ونظرت اليه ضاحكة .. وقالت :

– وهل ترضى بأن أبيت ليلتي عندك ؟!

ونظر اليها ، فرأى الجمال والانوثة والدلال والاغراء .

ونظرت اليه فرأت القوة الطبيعية والجمال القروي والسذاجة التي تعشقها في بعض اصناف الرجال .. ورأت في مخيلتها مغامرة تضاف الى سلسلة حياتها .. انها تجربة جديدة في محيط جديد .

وقال وهو متلعثم : وهل انال هذا الشرف وارفض .. ولكن اهلك .؟

عمري .. ضمني الى صدرك يا سليم ، أريد أن انسى حياتي الاولى يا حبيبي .

وكان سليم يشدها الى صدره ويبكي من الفرح .

ومر يوم آخر .. ثم آخر .. وكان اليوم العاشر .

ففي صباح ذلك اليوم قامت وهي تنظر الى هذه الغرفة باستغراب ، ماذا .. كيف تمكنت ان تمضي عشرة ايام هنا . آه .. انها تكاد تموت من الملل .. اين الكباريهات والرقص والخمرة .. اين الاصحاب .

ونظرت الى حيث كان سليم وقالت :

ـ كيف احببت هذا الشيء والذي هو اقرب الى الحيوان منه الى الانسان ؟ .

وعندما نظر اليها سليم شعر بأن هنالك أشياء .. ان قلبه كان يحدثه بذلك .

وقالت باحتقار وعجرفة :

ـ انا ذاهبة .

ـ عايده .. حبيبتي .

ـ ارجوك .. لا تكن بليداً .. يجب ان اكون في المدينة، وهل تتصور حياتي هنا .. يجب ان نفترق .

ـ ولكن كيف .. كيف ؟!

واخذ يبكي ، فنظرت اليه بسخرية وقالت :

وكانت تنظر الى منكبيه العريضين ووجهه الذي تتفجر منه الحياة .

واقتربت منه .. وكان الليل قد زحف على هـذه السهول والجبال.. والقمر البراق يلمع على مرآة الثلج الناصعة..واخذته من يده وهو كالتائه .

وخرجت الى الحديقة .

وكانت تتكلم .. وتتكلم .

لقد احبت هذا الشاب الساذج .. وشعرت في قرارة نفسها بأنها عادت كما كانت تلك الفتاة الصغيرة الساذجة الـتي تقرأ اشعار لا مرتين وتهوى قصص الحب والبطولة .

ومر اليوم الاول ثم الثاني ثم الثالث .. وكانت حياة جديدة لكل منهما .

فلقد انفتح امامه شيء جديد لم يكن يعرفه .. انه يعيش في الجنة ..

وهي .. انها لم تجد في حياتها الجنونية رجلاً احبها بذلك الاخلاص والصدق .

انه يعبدها ويضعها في مصاف الآ لهة .. انه يعتبرها فوق البشر .

وقالت له : سليم .. انظر الى هذا القمر الضاحك المبتهج بحبنا .. انه يشهد عليّ .. وكذلك تشهد عليّ هذه الجبـال والوديان . وذلك الثلج الطاهر .. ان حبي لك سينتهي بانتهاء

مجنون

– سوف ازورك في الشتاء القادم .

– الشتاء القادم .. آه منك .. وهل بامكاني ان انتظر .. سوف اموت قبل ذلك سأقتل نفسي .

واقترب منها متوسلاً فدفعته عنهـا وهي تتأفف .. ثم خرجت .

ومر اسبوع .. ثم آخر .. وسليم يهيم على وجهه يناجي الحيوانات والثلوج والصنوبر .. وهو يعلل النفس بعودتها .

ومر شهر ..

وفي ليلة ليلاء .. رأى سليم القمر البراق ينظر اليه بسخرية وهزء ونظر الى الثلوج فرآها ولت هاربة .. ونظر الى السهول فرآها مادت .

كيف ذهبت هذه الاشياء التي كانت تشهد على كلامها ؟.

هل هو هذا نفس القمر اللعين الذي ينظر اليه متشفياً .

ودخل الى الغرفة .. وأخذ بندقية الصيد ، وشق الطلق الناري سكون الليل وتجاوب صداه بين الهضاب والمنعطفات .. صدى ممل منخفض وحزين .

وأغمض سليم عينيه الى الابد وهو يرى القمر يبتسم بحزن وأسف .. ويرتجف من هذا الطلق المفاجىء الذي شق حجاب السكون .

الصغيرة في المحطة فدخل وهو يتأوه .. وسأل صاحب القهوة :

– متى يسافر القطار الثاني الى دمشق ..

– بعد ثلاث ساعات ياسيدي ..

– ثلاث ساعات ، وهل يجب ان انتظر ثلاث ساعات ، كلا لن انتظر .. ليس بوسعي إن انتظر ..

– انت حر يا سيدي ..

– نعم حر وهذا لا يعنيك ، انني حر في تصرفاتي .. سوف انتظر . سوف افعل ما يحلو لي .

وسكت صاحب المقهى واجماً ، ثم سأله :

– ماذا يشرب سيدي ؟

اعطني شاي .. كلا قهوة .. انتظر .. اعطني شراباً كلا بل كأساً من العرق .. كلا اعطني كازوزة ..

وبينما هو يتردد هكذا اذ دخل رجل مهيب الطلعة في العقد الخامس من عمره ،يضع على عينية نظارات مذهبة وبيده عصاه ، وبكل هدوء جلس الى الطاولة الملاصقة ثم قال :

– من فضلك يا سيدي اعطني بعض الشاي مع الليمون ..

ثم اخذ صحيفة من جيبه وراح يتصفحها ، وهنا قال الاول وهو يكاد ينشق من هدوئه :

– هل انت مسافر الى الشام ؟

– نعم يا سيدي .

– اذاً يجب عليك ان تنتظر مدة ثلاث ساعات ،هل تسمع ، ثلاث ساعات !

قال طاغور : من هو هذا المعتوه الذي قال بان العالم يسير بنظام ومن هو المعتوه الذي قال ان كل شيء موجود حيث يجب ان يكون .

●

دخل المسافر الى المحطة وهو يركض فرأى آخر القطار يلف حول المنحنى وهو ينساب كالحية الرقطاء ويرسل البخار الابيض مع بعض الصفير وكأنه يهزأ بهذا المسافر المتأخر .

واخذ الرجل طربوشه بحركة عصبية وضربه الى الارض وهو يسب ويلعن ويقول بصوت عال :

— ما هو هذا النظام المزعج وما هي هذه الشركة الغليظة الدم التي لا تأمر القطارات بالانتظار بعض الوقت كي يصل المسافرون المتأخرون، وهل سينقلب الكون لو تأخر القطار بعض الشيء وهل سيتغير مجرى التاريخ .. لعنة الله على الشركة وعلى موظفيها .

ثم راح يشد شعره بحركات عصبية جنونية عندما رأى القهوة

هاتها .. ارجوك..لا اقدر ان اعيش بدونها .. واخذهاثانية ثم ردها ثم اخذها.. وهكذاعشرات المرات ..ان الدنياصحراء قاحلة واحتها المرأة يا بني وهي لا غنى عنها ، واذكر قول علي بن ابي طالب « المرأة شر كلها وشر ما فيها انها لا بد منها» عد ثانية الى بيتك وكن حكيماً ولا تتسرع ..

فنظر اليه هذا وقال :

– والله انا شاكر لك حسن نصائحك وجميل قولك.. نعم سوف اعود واحاول اصلاح الامور ..

وهنا حصلت جلبة وضوضاء ودخل رجل يتبعه ثلاثة وهو يقول :

– مجنون ، مجنون هرب من مستشفى المجاذيب .. اقبضوا عليه ..

وهنا اشار صاحب المقهى الى الرجل الاول فقال الطبيب :

– كلا .. كلا .. انه هناك .. انني اعرفه !

وهجم على الرجل الهادىء صاحب النظارات وهجم معه مساعدوه وكبلوه .

فنظر اليه صاحب المقهى والرجل الثاني وهما في اندهاش كلي ..ونظر صاحبنا اليهم طويلا..ثم هز رأسه واخذ يبتسم..

وهكذا يعيش هذا المنرفز المتردد محترماً بين الناس ويعيش الحكيم الهادىء في مستشفى المجاذيب في عرف البشر وقانونهم.. فتأمل .!

– نعم سوف انتظر .
– تنتظر مدة ثلاث ساعات ؟
– وهل بوسعي ان افعل غير هذا يا سيدي ؟!
ونظر الرجل الهادىء الى الأول طويلاً ثم قال :
– لماذا انت منزعج هكذا .. ولماذا تريد السفر بسرعة ؟
– لماذا اسافر .. انني اريد ان اهرب اهرب من زوجتي .. انها ادخلت الجنون الى رأسي ..انها تكاد ان تقتلني ..انها تفعل كل شيء كي تغيظني .. انها تغسل حيث لا يجب وتمسح البيت كل يوم ، اريد الهرب .

– كلا أيها الأخ .. يجب أن تتروى .. فأنت مقدم على عمل خطير له نتائج اخطر .. ومسؤولية كبيرة .. هل لك اولاد ؟
– نعم عندي ثلاث اولاد .
– انت ترى .. لمن تترك هؤلاء الاولاد ومن يربيهم .يجب ان تحكم عقلك .. ان الله عندما خلق المرأة اخذ من الشمس حرارتها ومن النهار نوره ومن القمر بهاءه ومن الغزال خفته ومن الارنب رشاقته ومن الغابات سرها وغموضها ومن الغيوم ظلامها ومن الثعلب مكره ومن الفهد افتراسه .

ثم اعطى هذه الدمية الجميلة الى الرجل الاول كي يلهو بها .. فأخذها هذا فرحاً وذهب الى داخل الاحراج وهو يحملها بين يديه وبعد ايام عاد وهو يقول للخالق : خذها .. خذها انها تقتلني .. انها تحبني .. لا اريدها ، فأخذها الخالق وهو يبتسم ، وبعد ايام عاد الرجل وهو يقول : ارجوك ياسيدي .. اريدها ..

نهاية بطل

عن شيء مجهول .

كان ، اذا لم يجد ما يعمله يذهب الى بيت الله ويصلي ، كان يقوم بفروض دينية كأنه رجل في التسعين من عمره .

كثيراً ما شاهدته متألماً في شوارع بيروت كلما سمع كلاماً بذيئاً او بعض الشتائم يتلفظ بها احد الناس .

وآخر مهنة قام بها ، واعني بها الصنعة التي عمل بها طويلاً ، هي الميكانيك ، اذ انه كان اجستير في الميكانيك ، وكان من البارعين.

كان يوم الاحد عنده يوماً مشهوداً ، لأنه يذهب الى سينما ماجستيك ويشاهد افلام الابطال والافلام المتسلسلة ، وهذه كانت نزهته المحبوبة الوحيدة .

كان يرى ابطال الرياضة يمرون على الشاشة ، فينسى العالم الذي هو فيه ويسرح مع خياله .

شاهد فيلماً عن الملاكمة فصار لا يفكر الا فيها .

وفي احد الايام ، رآه احد المدربين ولداً حيياً يقف على باب نادي الشبيبة وهو ينظر الى ادوات التمرين بشوق ولهفة .

وتقدم بخطى متلعثمة وهو يقول : اريد ان اتعلم الملاكمة .

نظر اليه الحاضرون بسخرية ، ولكن المدرب رأى ارادة حديدية في هذه النظرات ، فأخذه من يده .

وكان التمرين الاول والثاني والثالث .

وكانت المباراة الاولى .

وافاقت بيروت ذات يوم ورأت ابراهيم العيتاني على كل حائط وفي كل جريدة وتحت كل سماء .

« لقد سألت الطبيب والسياسي والاديب والتاجر والرياضي والمغامر .. لماذا اختار كل منهم مهنته دون غيرها ؟..
فكان الجواب واحداً . هو الصدفة »
– سنكلير لويس –

●

كان طفلاً صغيراً ، وكان يذهب الى المدرسة كغيره من الاطفال في سنه وفي زمانه ، وبلده وغير بلده .

وكان يعود في المساء الى بيته يلعب مع اولاد الحي بالكرة والكلة وغيرها من الالعاب المعهودة ، واخذ ينمو ويترعرع بسرعة ، وكان عنيداً ، ولكنه طيب القلب ، كان يحب امه حباً الى حد العبادة ، وكثيراً ما كانت نعومة امه وكلامها الهادىء ونظراتها الحانية تنجح حيث لم ينجح الضرب ولا القوة .

وكان تقياً .

واخذ يتنقل من طور الطفولة و « الولدنة » الى طور الشباب والرجولة ..يبحث عن عمل ، وهو يشعر في قرارة نفسه انه يبحث

ومن مفترق الى آخر . ان حياة التمرد التي انتقل اليهـا بعـد اعـوام كثيرة تأخذ بذورها من عناده القـديم ايام كان طفلاً مشاكساً لا يعرف اللين والمهادنة ثم من انتصاراته المتتابعة التي ادخلت الى عقل الفتى قليلاً من الغرور .

وترك التمرين ، وهو كل حياته مدة سنين طويلة وهو يقول :

– انني اقدر ان انتصر ساعة اشاء دون اي تمرين !؟

وزلت به القدم .

وعرف المرأة وهو في الثانية والعشرين من عمره واستطـاب طعمها .

وتعجب من نفسه كيف تمكن ان يبقى بدون هذه المخلوقة كل هذه الايام الطوال .

وغرق في بحر من اللذات وتمرد على المدربين الذين اوصلوه واصبح لا يحترم كلامهم .

وسخر من الجمهور هازئاً .

وسخر من التمرين .

واتكل على قوته الجسدية فخانه الجسد .

واتكل على ضربة يده فخانته الذراع .

اتكل على سرعة انتقاله وتفكيره السريع فخانه العقـل وخانته الحركة وخانته هذه المعشوقة التي تدلهت بحبه زمناً طويلاً وكانت طوع يديه وطوع قلبه . الملاكمة .

وكانت الهزيمة الاولى في نادي الايتام مع البطل الحلبي محمد خير .

وبكى ابراهيم ، بكى لانه صعد الى عرش المجد درجة درجة

وهبط بالاسانسور النازل .

وصمم الرأي على ان يعاود التمرين ، ولكن تيـــار الحياة الذي تعوده جذبه ثانية وقذف به في بحره الاحمر .

وتمرد على الحياة وتمرد على نفسه .

وترك الملاكمة بعد مباراة ثانية اثبتت له انمعشوقتهقدتركته الى الابد .

والناس تعرف ابراهيم وتهاب ابراهيم وتحترم ابراهيم فكانت تساير ابراهيم .

وكان يمشي مسلحاً بالمسدسات والقنابل .

وفتح مقمرة . وعرف المشكلة الاولى واطلق النار . واصبح اطلاق النار عادة محببة اليه . انه يفرغ مسدسه في كل لحظـــة وكل دقيقة .

وانتقل من حياة النهار الى حياة الليل ، واصبحت الزيتونة مكانه المفضل .

وكانت الدراهم تدخل عليه بالالوف ، وكان ينفقها في ثوان معدودة .

وحياة كهذه تتطلب المخاطرة والجسارة ،فالذي يطلق النار يستعد للقاء النار .

واطلقوا النار على ابراهيم مرة وثانية وثالثة .

وأصيب مرات ، ودخل الى المستشفى ، وكانينجومنخطر الموت بشكل اثار حيرة الاطباء ودهشتهم .

وتاب ابراهيم .

ان الانتصارات الرياضية عادت ولكن على غير صورتها الاولى.

انه صراع مع الموت ، وكان ابراهيم الفائز المجلي دائماً .

وتمرد المتمرد .

وفي ذات يوم ، كنا معاً حول طاولة عند عجرم ، الفقيد الغالي عدنان النصولي ، وابراهيم ، وكاتب هذه السطور . وكان ابراهيم خارجاً من المستشفى بعد حادثة كادت تودي بحياته .

وكان يقبل عدنان وعدنان يقبله وينصحه بأن يكف عن هذه الحياة الخطرة . وقلت لابراهيم : الا تذكر حياتك الاولى يا ابراهيم ، حياة الطهر والتقى والفضيلة . اين حب الناس وحب الجماهير وشعورهم واحترامهم ؟ فنظر الى البحر البعيد ثم قال :

— اتركني يا وفيق ، لقد انتهيت ، لم يبق من حياتي الا ايام معدودات سوف اصرفها في جيش تحرير فلسطين ، لقد انتهيت من جميع الوجوه ، انا رجل ميت يا وفيق .

كان يتكلم وهو يعانق اخي الذي ذهب : عدنان .

وا أسفي ، لقد ذهب الاثنان وعصرا قلبي عصراً بالحزن والذكرى.

الاول ساير الحياة وابتسم لها فعبثت في وجهه ، والثاني تمرد عليها فصرعته والقت به الى الحضيض .

وفي هذه الاثناء ، كان ابراهيم يعيش حياته المعهودة في الزيتونة .

وجاء يوم الحادث .

الساعة الثانية عشر مساء وابراهيم على طاولة مع متري

العقدة وسليم بولس وحسن المكاوي ووديع دباغيان عند منصور ، وكانت صحون المزات والتوابل تصل بسرعة ، وصاحب المحل يوزع ابتساماته الدائمة على هذه الطاولة .

كيف لا ، وبين الجالسين حولها نفر من اشهر قبضايات البلد.

وعلى طاولة بعيدة كان يجلس المرحوم توفيق الشميساني الملقب بأبي زهير .

ويظهر ان الجو لم يكن كما يجب بين الطاولتين وانتهى الليل وتفرق الساهرون وخلت الزيتونة الا من عشاق السهرات المتأخرة حتى مطلع الفجر .

وانتقلت طاولة ابراهيم بأجمعها الى الكيت كات في الساعة الثالثة صباحاً .

وبعد ربع ساعة دخل المرحوم ابو زهير وتقدم من الطاولة بمشيته المعهودة واخذ يوزع التحيات .

ويظهر ان سلامه على متري لم يكن حاراً فقال ابراهيم :

— كلا يا ابو زهير ، ان متري حبيبنا واللي لا يحترمه لا يحترمنا.

فقال ابو زهير : نحنا لا نحترم احداً .

فقال ابراهيم وهو يشهر مسدسه . اخرس وله -

فقال ابو زهير : لا يا ابراهيم ، انا همشريتك .

ولكن ابراهيم عاجله بضربة من المسدس على رأسه فوقع المسدس .

فأخذه حسن المكاوي وخرج به ، فلحقه ابراهيم ، وهنا تماسك متري وابو زهير ، وكان صراع عنيف لان الاثنين من

الاقوياء الاشداء.

ولعبت الزجاجات والكراسي والمسدسات دورها .

وجاءت الدورية وعلى رأسها المعاون المرحوم تامر زيادة .

ولكن المكان كان خالياً . ان منظر « الكاباريه » عادة يدخل الوحشة الى القلوب في آخر الليل ولا سيما عندما تقفر من الزبائن .. فما بالك بهذه الكراسي والطاولات المنثورة ، والزجاجات المقلوبة المهشمة ؟ وانتظر المفوض تامر . وفي الساعة الرابعة عاد ابراهيم ، عاد كي يأخذ طربوشه الذي نسيه على الطاولة .

وعندما اراد ان يتخطى الباب ، قال له المعاون : ارفع يديك يا ابراهيم .

— ابراهيم العيتاني لم يتعود على رفع يديه ، ورجع ابراهيم خطوة الى الوراء بخفة كلية ، فشهر المفوض مسدسه وشهر ابراهيم مسدسه ، وانطلقت المسدسات من كل صوب . فوقع ابراهيم ووقع المفوض ومات ابراهيم ويده لا تزال على كباس المسدس المنطلق وكان الرصاص يخترق ابواب المحلات وحيطان المنازل . ومات المفوض وقد اصاب في ابراهيم مقتلاً ، مات تحت الخدمة ! وعاد الهدوء ! ونقلت الجثتان .. وكان موج البحر الخافت يداعب سكون الليل الذي ايقظه كل ذلك الرصاص .. وهكذا كانت نهاية هذا الشاب الحزين .

هوى من القمم الى السهول وصرعه الموت بعد صراع عنيف والقاه مضرجاً تحت افواه المسدسات .

ملاحظة : كتب هذا المقال قبل حادثة المرحوم توفيق الشميساني

فهرس

بنات اليوم

وفيق العلايلي



الثمن
٤٥٠ ق.ل.